

أجل.... خرجنا من عنق الزجاجة أو نكاد

بقلم: عبد القادر الهاني

نخضة المجتمع وتواصل ترقيه في مدارج الحضارة والتقدم، هو أمر رهين قيام ثلاثة ركائز بدورها كاملا، موصولا ومتناغما، وأعني بذلك نشاط سياسي يتصف بالحكمة والرشاد، ومخطط اقتصادي يتسم بالدقة والموضوعية وحراك ثقافي شامل ومتين، وكلما كان عمل هذه الركائز دائبا ومسترسلا ومتزامنا، كانت الحصيلة مسيرة ناجعة.

خلاصتها تقدم البلاد ورعاية العباد، أما إذا حدث خلل في الأداء الجيد لهذه الأركان الثلاثة أو لبعضها، فالنتيجة - بطبيعة الحال - ستكون - لا قدر الله - شرا مستطيرا، ينال البلاد ويفتك بالعباد، كلّ العباد. وهو ما وقفنا على بعض ملامحه خلال السنتين الماضيتين، عندما اختلط الحابل بالنابل وتداخلت المفاهيم، وادلهمت الأمور كلها، فلا سياسة حكيمة، ولا اقتصادا مدروسا، ولا ثقافة تنير السبيل، فأمسينا نمشي على جرف هار، كدنا معه نقع في الهاوية، لو لا أن قيض الله - في هذا البلد - رجالا ونساء، فتح أبصارهم فرؤوا أخطارا محدقة، قدروها أهوالا قاتلة، ومصائب جارفة مميتة، وفتح بصائرهم فاهتدوا إلى حلول منقذة، أقنعت الجميع بالعودة إلى الجادة، قوامها تحكيم العقل بدل العاطفة، واعتماد المصارحة بدل المخاطلة،

والتسليم بأن تونس بلد الجميع، يجب أن يكون للجميع، وقد كانت - وما تزال - تتسع للجميع.

ها أننا نرى الغالبية العظمى من السياسيين يهتدون للركون إلى الحكمة، ونقدر أن الاقتصاد في طريق الاحتكام للدرس والتمحيص ونلمس أن الثقافة تسعى إلى أن تسترد مكانتها وتستأنف دورها الريادي، وأية ذلك ما أفاد به وزير الثقافة الجديد مراد الصقلي أثناء الندوة الإعلامية التي انتظمت بمقر وزارة الثقافة، وقدم فيها الإستراتيجية العامة والخطوط العريضة التي سنتهجها الوزارة من أجل النهوض بالثقافة والفنون والتراث ضمن السيادة العامة للدولة، وتقتضي أساسا العمل على توفير مناخ عام للحريات، والحق في الثقافة للمواطن والمثقف، ولا مركزية الثقافة، وإيجاد السبل القانونية والآليات ومشاريع نموذجية خاصة، وديمقراطية الثقافة، والحق في ممارستها، ولنا أن نؤكد أن إعادة بعث المجلس الأعلى للثقافة، وتفعيل المجالس الجهوية، من أهم القرارات الجريئة والتي يرجى منها إعطاء القوس باربيها: من اجل إعادة المياه إلى مجاريها السالكة والأسيلة. الأمر الذي يسوغ لنا أن نقول وبصوت عال: مرحى مرحى، إن لتونس رجالا ونساء.

من وجه الاستعمار الفرنسي البشع

لعبة الظهير البربري في المغرب

والمؤتمر الأفخرستي بتونس

الخطة والهدف والانكسار

(1)

بقلم: محمد الصادق عبد اللطيف

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhsit.com>

1- التمهيد الأول المغرب والتاريخ:

المغرب بلد يصنع التاريخ ولكن أهله لم يكتبوه بعد ولم يلملم أحد بعد شتات هذا التاريخ فيصل به إلى أحداث القرن العشرين وتطورات العظيمة ولم يجمع أحد بين التاريخ السياسي والحضاري لهذا البلد الذي لعب دورا بطوليا في الماضي والحاضر.

المغرب أيضا بلد يصنع المؤرخين ولكن ظروف الحياة وخوف بطش الحاكمين وتعاقب الدول رمى بهم في زوايا الإهمال والنسيان¹ وتكمن أهمية المغرب في تاريخ حوض المتوسط في نشره للحضارة بين مجموعة أقطاره كما نقل حضارة الأندلس إلى أهله وأقام علاقات ثقافية وسياسية مع مختلف دول المغرب.

2- حدود الاستعمار الغربي:

إن الاستعمار واحد في عقول جميع المستعمرين فهو يعمل على:

* قطع صلة الشعب بماضيه لعله ينسى ذلك الماضي و يألف حاضره

¹ المغرب عبر التاريخ: ابراهيم حركات نشر دار السلمي ط1 1965

- * إثارة المسلمين وإذلالهم وجعلهم في خدمتهم
 - * التبشير والتفريق العنصري
 - * العمل على تفشي الأمية والفقر والمرض
 - * تقوية الحضور الأجنبي في المؤسسات والوظائف
 - * امتلاك خيرات البلاد وجعلها سوقا لمنتجاتهم.
 - * انتزاع الأراضي الفلاحية منهم.
- 3- البدايات:

انطلقت الحركة التوسعية الاستعمارية الأولى مع أواخر القرن 15 إذ سادت العقلية الغربية المتمثلة في أن امتلاك المستعمرات مظهر من مظاهر القوة وذلك إثر الثورة الصناعية في القرن 18 ومن أسباب التوسع الاستعماري الأوروبي في إفريقيا وآسيا.

- * سبب اقتصادي: البحث عن الأسواق الخارجية لتصريف الإنتاج واستثمار رؤوس الأموال.
- * سبب ديمغرافي: وفي ارتفاع عدد السكان كان ذريعة للحكومات الغربية لاحتلال الدول الضعيفة
- * سبب عسكري: بحث الدول العظمى على وجود قواعد عسكرية خاصة في الدول التي تحتل مواقع إستراتيجية حماية لتجارها² كان معظم الدول في القرن 19 مقتسما بين الدول الأوروبية وكان في صراع بينها إذ كل دولة تحاول التوسع على حساب الأخرى لاستغلال ثروات البلاد المحتلة والاستحواذ على ما فيها من مواد ولكسب أسواق جديدة تصدر إليها البضائع المصنوعة في أوروبا³.

كان حرص الفرنسيين على الانتصاب بشمال إفريقيا شديدا وقد مهدوا له وسعوا إليه منذ القرن 18 ولما احتلوا الجزائر بداية من سنة 1830 تعزز جانبهم وصاروا يتحينون الفرص لبسط نفوذهم على كامل الشمال الإفريقي فكانت تونس الضحية الثانية 1881 والثالثة 1912 المغرب.

² كتاب التاريخ تونس

³ فصول من تاريخ تونس مجموعة من الأساتذة

لقد كان إعلان الحماية الفرنسية لجنوب المغرب والحماية الإسبانية لشماله بداية الاحتكاك المرير بين الشخصية المغربية المقاومة والقوات الاستعمارية التي حاربت المقاومة السياسية والعسكرية النظامية بعد الحماية في آخر عهد السلطان عبد الحفيظ والتي حاربت الثورة للمنظمة العاملة في حيال الريف بقيادة الأمير عبد الكريم الخطاطي وكشف سياسة التحزبة القانونية واللغوية بين العرب والبربر سنة 1930.⁴

4- صك الحماية:

سنة 1324/1906 هجري انعقد في جنوب اسبانيا مؤتمر في الجزيرة الخضراء وفيه استطاعت فرنسا أن تقنع بريطانيا وألمانيا واسبانيا بعض الامتيازات لهم مقابل أن تطلق يدها في المغرب الأقصى كأن تختص:

أ- انقلترا بالهند ومصر وكينيا وأوغندا ونيجيريا وأستراليا وبنلدا الجديدة وجنوب إفريقيا وجبل طارق وسنغافورة وقناة السويس.

ب- تختص اسبانيا بأقاليم في أمريكا والمكسيك والأرجنتين.

ت- تختص فرنسا بكامل شمال إفريقيا والهند الصينية وكمبوديا والسنگال وساحل العاج ومدغشقر واللاوس وتشاد.

ث- تختص روسيا ببلاد التركستان.

ج- إلحاق جزء من الكونغو إلى مستعمرات الكمرون بألمانيا.

5- اللعبة القذرة:

عجزت فرنسا على إخضاع المغرب بالعمل العسكري نتيجة للمقاومة الشرسة في مختلف مناطق المغرب وحتى بالأساليب السياسية الفاتلة وحتى بالضغط الاقتصادي وبعد أن أدركت فرنسا أن وحدة الشعب المغربي وصموده وكفاحه وقوته منبعاها الصد الإسلامي

⁴ الحسن الساذج الحضارة المغربية

والتمسك به وبالوحدة الوطنية قررت فرنسا إتباع طرق جديدة وأساليب تحمل الدهاء والمكر والكراهية.

خططت لأن تقوم بفرنسية المغرب عن طريق نشر الفكر المسيحي والعقيدة المسيحية ونقل المغاربة من الإسلام إلى الديانة المسيحية.

خططت لأن يكون الهدف الأول المناطق التي يسكن بها البربر وذلك ب:

1- إثارة الفتن بين السكان وخاصة ضد العرب بدعوى أنهم مستبدون وأنهم يتمتعون بالمناصب الإدارية والمرافق الاقتصادية والألقاب العليا والمراكز العلمية.

2- إثارة البربر على الحكومة وعلى الأسرة المالكية بدعوى أنها تميل للعرب أكثر من البربر وخاصة في المجالات الرسمية والإدارية والشعبية.

3- إيجاد قضاء خاص بالبربر وإحداث محاكم خاصة بهم وإتباع عرف البربر القضائي قبل إسلامهم لإخراجهم من التشريع الإسلامي.

4- كتابة اللغة البربرية بأحرف لاتينية.

5- يكون للبربر مدارس خاصة بهم يعلم فيها أساتذة فرنسيون باللغة الفرنسية وعند العجز في تبليغ معلومة ما يتولى المدرس شرحها باللغة البربرية.

6- يلغى تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية في مدارس البربر.

7- غلق المساجد والكتاتيب القرآنية في المناطق التي يسكنها البربر قطعاً لكل صلة بالإسلام حيث أن اللغة البربرية قاصرة على التعبير عن كثير من وجوه الحضارة ويجب أن تظل البربرية لغة تخاطب وتعبير بسيطين ولاحترام التقاليد البربرية أصدر المارشال ليوطي 11 سبتمبر 1913 ظهيراً (مرسوماً) ⁵ لتكريس المبادئ السابقة لكنهم لم يوفقوا.

⁵ الدكتور عمر فروخ المغرب لبنان 1961

6- لعبة الظهير البربري:

وقفنا على مصادر متعددة تحدثت عن هذه اللعبة السياسية القذرة حول الظهير البربري فلقد تحدثت عنه (معلمة المغرب) ع 17 ص 5823/5829 وبحثا للزعيم الوطني الراحل (محمد بن الحسين الوزاني وآخر للزعيم علالة الفاسي في كتابه الحركات الاستقلالية في المغرب).

بالعودة إلى الوراء نجد في التاريخ السياسي بالمغرب عديد التحركات الاستعمارية للانقضاض على شخصية المغرب العربية وقد وجدنا عدة إشارات توضح أن السياسة البربرية (وهي كروح وكمبدأ استعماري تريد فرنسا غرسه بديلا للعربية).

وكانت تستهدف الفرنسية بوسائل على مراحل يبدو ذلك جليا في ظهر 1914/09/11 - 20 شوال 1332 ومما جاء فيه (ما في الموطنة حيث أن قبائل جديدة تنظم يوما بعد يوم إلى المملكة الشريفة بفضل الأمن والسلام وحيث أن هذه القبائل من جنس بربري ولها قوانين وأعراف خاصة تستعمل لديها من الزمن القلم ولها بما تمسك شديد وحيث أنه يتعين لصالح رعايانا والطمأنينة آياتنا السعيدة رعاية الوضع العربي الذي يحكم القبائل).

أما كيفية الوصول إلى ذلك فقد اعتمد المشرع الفرنسي على الجهاز القضائي العربي الذي ظل غير معرّف به في القضاء الشرعي الذي كان يرفض دائما عقوده وهذا ما كان مؤقتا في نظر السلطات الفرنسية المتربصة كرها لا طوعا إلى هذا يشير بلاغ صادر عن الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب بتاريخ 15 يناير 1924 حيث يقول (لا يزال عندنا وقتا) بعد أن نطبق هذه التعليمات تطبيقا كاملا وتأخذ شكلها النهائي لحفظها وترسيخها لتشريع جديد لكن الجماهير المغربية المتمثلة في الحركة الوطنية الناشئة والمساندة في الرأي العام الإسلامي عبر العالم كله سرعان ما أرغمت سلطات الحماية على الرجوع

عن أخطر ما ورد في الظهير باستصدار ظهير أبريل 1934 والذي عاد بالقبائل الأمازيغية إلى حظيرة المحاكم الشرعية.

فما هي أصول تلك المكيدة التي انقلبت على مديرتها؟

7- الظهير البربري الصادر في 16 ماي 1930

يقرر الظهير ما يأتي:

1) المخالفات التي يرتكبها المغاربة في القبائل ذات العوائد البربرية والتي هي من اختصاص القواد في المناطق العربية ينظر فيها رؤساء القبائل.

2) بالإضافة إلى اختصاصات المحاكم الفرنسية توجد محاكم عرفية تنظر في الدعاوى المدنية والتجارية والعقارات والمنقولات، وتنظر هذه المحاكم العرفية في جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية أو بأمور الإرث وتطبق في كل الأحوال العوائد المحلية ولكل محكمة عرفية من أية درجة كانت مندوب مخزني فرنسي مفوض من الإدارة الفرنسية.

3) تنشأ محاكم عرفية استئنائية ترفع إليها الأحكام الصادرة عن المحاكم العرفية لاستئنافها وتنظر أيضا في الأمور الجنائية ابتدائيا واستئنافيا من القضايا التي هي في مستوى ما ينظر فيه القواد في المناطق العربية.⁶

4) يعود الاختصاص إلى المحاكم الفرنسية في حالتين:

- الجنايات التي ترتكب في المناطق البربرية مهما يكن مرتكبها فرنسيا أو بربريا أو عربيا.
- العقارات إذا كان أحد الخصمين ممن يرجع النظر فيهم إلى المحاكم الفرنسية يعني إذا كان فرنسيا أو أجنبيا مقيما بالمغرب.⁶

8- نشأة الحركة الوطنية:

أ- جذور الحركة الوطنية:

تجريد السلط المغربية من نفوذها:

⁶ عبد الكريم غلاب تاريخ الحرية الوطنية المغربية

فقد المغرب استقلاله لأول مرة منذ الفتح الإسلامي في بداية القرن العشرين عندما فرضت فرنسا حمايتها على أكبر جزء من البلاد بمقتضى معاهدة 30 مارس 1912 بينما احتفظت إسبانيا بالمنطقة الشمالية - الريف - طبقا للاتفاقية التي أبرمتها مع فرنسا في نوفمبر 1911، واجهت فرنسا عقب إبرام معاهدة " فاس " مقاومة مغربية شديدة شملت العديد من المدن وخاصة فاس. ولئن توصل المقيم العام ليوطي LYAUTEY بعد عناء كبير إلى تهدئة الوضع في الشمال فقد تواصلت المقاومة في الجنوب والأطلس المتوسط. وبعد ذلك ركز ليوطي سياسته على المحافظة على مغرب إقطاعي بتقاليده ومؤسساته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحصر التعليم في نخبة من أبناء الأعيان تكون سندا للحماية في المستقبل وعلى إنشاء إدارة فرنسية عصرية تقوم بمراقبة جهاز الدولة. لكن هذه الإدارة تجاوزت دور المراقبة لتهمين على كل المصالح الحيوية وجردت المؤسسات المغربية من نفوذها فكان المقيم العام الحاكم الحقيقي للبلاد يفرض التشريعات ويشرف على المصالح الإدارية والعسكرية بينما خضعت الإدارة الجهوية إلى المراقبين الفرنسيين.

– تأثير حرب الريف: <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تكررت مقاومة الاستعمار الإسباني في الريف إلى حرب تحريرية تزعمها (عبد الكريم الخطابي) منذ ماي 1921، فألحق بالجيوش الإسبانية هزيمة نكراء في معركة " أنوال " الشهيرة.

9- الحركة الوطنية وفي المغرب الأقصى:

نتجت عن انتصاب الاستعمار الفرنسي والإسباني في المغرب هيمنة سياسية تمثلت في تجريد السلط المغربية من نفوذها بينما استفحل الاستغلال الاقتصادي خاصة بعد حرب الريف. وقد اقترنت هذه العوامل بتأثير الحركات الإصلاحية والوطنية بالشرق لتدفع بالنخبة المثقفة من الشباب اعتمادا على تجار وحرثي المدن للقيام بحركة وطنية

تبلورت داخل " كتلة العمل الوطني" التي قاومت تقسيم البلاد عندما أصدرت سلطة الحماية الظهير البربري فاصطدمت بقمع فرنسي أسفر عن انقسامها في أواخر 1937. اغتسم الوطنيون خلال الحرب العالمية الثانية الظروف العالمية الجديدة للتجمع داخل حزب الاستقلال والمطالبة بتقرير المصير وتعززت صفوفهم بموقف السلطان محمد بن يوسف الذي طالب الحكومة الفرنسية بإقامة علاقات جديدة بين البلدين وذلك بإلغاء الحكم المباشر وفي نفس الوقت عمد الوطنيون المغاربة إلى التعريف بقضيتهم في المشرق العربي وأمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة لكن السياسة الاستعمارية بقيت على طبيعتها إذ عمدت سلط الحماية إلى قمع الوطنيين وتهديد الملك بخلعه. فكان ذلك حافزا لتكتل القوى الوطنية في إطار " الجبهة الوطنية" وتعزيزها بالطبقة العمالية. لقد أدى تبني السلطان للقضية الوطنية إلى عزله يتواطئ مع عملاء الاستعمار فأخذت الحركة منزعجا حاسما إذ تطورت إلى مقاومة عنيفة استهدفت مصالح الاستعمار و تصاعدت خاصة بمشاركة سكان الريف وانضمام القبائل البربرية التي حاول الاستعمار استعمارها لتقسيم البلاد. فالتقت هذه العوامل الداخلية مع الصعوبات الفرنسية في جنوب شرقي آسيا وخاصة في الجزائر لتمكن المغرب من الحصول على استقلاله في مارس 1956⁷

10- ردود الفعل الجماهيرية في المغرب

لقد استعان زعماء الحركة الوطنية بإحزاب الأحزاب التقدمية في فرنسا وإسبانيا. ففي فرنسا وقف المناضل (جان كيران) إلى جانب الوطنيين المغاربة لإصدار كتب بالفرنسية يحمل عنوان (مسلم بربري يشرح الخفايا والنوايا في الظهير البربري) ويفتد مزاعم الاستعمار كما وقف (روبير خان لونكي) حفيد كارل ماكس إلى جانب الوطنيين فأعانهم على إحداث مجلة "مغرب" الشهرية التي كانت فتحة مغربيا مبنيا في مجال الصحافة ومنبرا عجزت الإقامة العامة على الإطاحة بها قبل أن يصدر إثبات ثلاثون عدد منها.

⁷ حركة تحرير الشعوب المستعمرة

كان من نتائج موازنة أحرار اليسار الفرنسي أن اشتد الضغط على الإقامة العامة فالزم الجنرال "لوكين" على الانسحاب من منصبه في نهاية 1932 ثم أحيل على التقاعد بعد بضعة أشهر وهو يعترف بأن أخطاء قد ارتكبت بإصدار الظهير وإن إصلاحها لا مفر منه ما إن وصل للمقيم العام الجديد "هانري بونصو" للرباط 19.3 حتى انكب على إعادة النظر في الأمر وصدر ظهور جديد بتاريخ 1352 {1934/4/8} يحتفظ بالقضاء العربي في القبائل الأمان بغية- في القضايا الجنحية- ويحيل القضايا الجنائية على المحكمة العليا الشريفة القائمة على الشرع⁸

الانفجار الذي هز السلطة الحاكمة:

11) حركة اللطيف احتجاجا على السياسة البربرية:

صدر الظهير في 1930/05/16 فأنار ردود فعل عنيفة في جميع الأوساط المغربية ومرت فترة قصيرة احترمت فيها الحركة الاحتجاجية وتحيات فيها النفوس للوثوب والانطلاق فكانت فترة مخاض نحو الانفجار ضد البربر ودعاتها. <http://Archivebeta.Sakhril.com> وتحلى هذا الانفجار في اللجوء إلى المساجد والتجمع في بيوت الله لقراءة اللطيف بهذه العبارة العن لفضبة الشعب الذي رفع صوته إلى السماء مستغيثا بقوة الواحد القهار (اللهم يا لطيف نسألك اللطيف فيما جرت به المقادير وألا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر).

وتردد اللطيف في كل مسجد وكل بيت وكل مكان كشعار لمقاومة سلبية جديدة خلقت المقاومة المسلحة فكانت المقاومة السياسية والمعنوية التي لا يقوى عليها سلاح ولا يقهرها قمع وسرعان ما أصبح اللطيف تحديا للأقوياء ومجابهة للطغاة.

وهكذا مثلت حركة اللطيف عصيانا مدنيا وتمردا شعبيا على السلطة المستعمر وسياسته دون أن يستطيع لهما وقفا ولا يحمدهما بالقوة نارا فلقد واجه ثورة اللطيف بكل ما قدر

⁸ إبراهيم أبو طالب معلم المغرب

عليه من قوة وبطش وإرهاب فكان "تيار اللطيف" هو الأقوى و"حركة اللطيف" تاريخ حافل بالأحداث والصراعات وفيما يلي لمحة عنها.

(1) 20 يونيو أول مظاهرة بالمسجد الكبير في سلا وأخرى في المسجد الكبير في الرباط وتوجيه تهديد إلى بعض أنصار اللطيف من حاكم الناحية الفرنسي بإسم الإقامة العامة.

(2) 30 يونيو صيام سكان سلا ومظاهرة في المسجد الكبير.

(3) 4 يوليو أول مظاهرة في جامع القرويين بفاس ومظاهرة في سلا ومساجد بالرباط واستدعاء المراقب "بوسي" لخمسة أعيان في قبيلة زمور في شأن السياسة البربرية غير أن 1800 من السكان حاصروا إدارة المراقبة وهددوا بالثورة إذا فرض عليهم ظهر 16 مايو فاضطر المراقب إلى تغيير الحديث ليتكلم لهم عن الجراد الذي هدد آنذاك بالانتشار.

(4) 5 يوليو اللطيفي جامع القرويين بفاس واللطيف في المسجد الكبير بالرباط مع خطب تحريضية من بعض الحاضرين.

(5) 6 يوليو اللطيف بالقرويين في فاس وصيام سكان الدار البيضاء مع اللطيف في المسجد الكبير.

(6) 7 يوليو اللطيف بالقرويين

(7) 8 يوليو اللطيف بالقرويين شرفاء فخاضه (آيت بو يحيى) من قبيلة زمور يطلبون من المراقب بوسي تسمية قاض خاص بهم على الأقل لأنهم شرفاء فأجابهم بأن الجميع سواء أمام العرف.

(8) 9 يوليو اللطيف بالقرويين ومسجد سيدي محمد لعريف في مراكش وعزل عبد اللطيف الصبيحي من منصب كاتب الحكومة الشريفة.

(9) 10 يوليو اللطيف بالقرويين.

- (10) 11 يوليو اللطيف بالقرويين ومساجد الرصيف ومولاي إدريس والمنية واعتقال أحد السكان بالرباط ونفي الصبيحي إلى مراكش واللطيف بسلا.
- (11) 12 يوليو اللطيف بالقرويين والرباط واستقبال باشا العاصمة للمطالبين بالإفراج عن المعتقل اليزيدي.
- (12) 13 يوليو اللطيف بالقرويين والمسجد الكبير في سلا والانفراج عن معتقل الرباط بضمانة عدم العودة إلى خطبة التحريض على الميجان.
- (13) 14 إلى 16 يوليو اللطيف بالقرويين
- (14) 17 يوليو اللطيف بالقرويين واستقبال "بنازي" مدير الشؤون الأهلية لوفد سلا للمطالبة عثا بعودة الصبيحي من مراكش.
- (15) 18 يوليو لللطيف بالرباط في سبعة مساجد هي القصة وسيدي الغندور والسنة ومولاي سليمان والعماري ومولاي المكي والزواوية الناصرية واللطيف بسلا في المسجد الكبير والشبهة واللطيف في المسجد الكبير بالدار البيضاء والقرويين.

حركة اللطيف بفاس

إنَّ حركة اللطيف بفاس تستحق أن يخصص لها حديث نظرا لما اكتسبته من أهمية ولما رافقها من أحداث وطرا عليها من تطورات وإذا كان اللطيف قد تردد في بعض مساجد فاس عامة وفي جامع القرويين خاصة ابتداء من رابع يوليو 1930 كما تردد قبل هذا وبعده في عدة مدن هي الرباط وسلا والدار البيضاء ومراكش فإن يوم الجمعة 18 يوليو كان يوما مشهودا بفاس التي عرفت مظاهرات شعبية ضخمة اشتركت فيها عشرات الآلاف من الجماهير التي طافت بالشوارع انطلاقا من جامع القرويين كما عرفت الحركة قمع وحشية رددت أصداءها صحف العالم وهو ما أثار كل الأشياء المتعلقة بحركة الاحتجاج على السياسة البربرية وظهر 16 مايو.

ويتعرض المغرب اليوم لحملة شرسة من طرف الكنيسة في القيام بمحملات تنصير وتبشير كبرى تصدت لها الحكومة بكل حزم وأوقفت هذا التيار فما أشبه الليلة بالبارحة. **يتبع...**

"مايسترو" لأمال مختار

رحلة البحث وحديث الذاكرة

بقلم: طارق العمراوي

رواية "مايسترو" لأمال مختار إضافة كمية وكيفية لتجربتها ومدونتها التي بدأت تتضح معالمها وخطها العام الباحث في وجوديات هذا الكائن الذي شغل الناس منذ القدم فما دام الوجود محمل هو الآخر بالجديد كإشكاليات مؤسسة للفعل البشري، مضامينها قديمة، تظهراتها جديدة وحديثة الباحث في هذا التوجه استعانت ببعضها لفهم تعقيدات هذا الكائن الباحث منذ تواجده عن الاستقرار والطمأنينة والحرية فكانت رحلاته في الزمان والمكان، في الفكرة والتصورات، كان الدين، الفن، الشعر، المسرحيات الإغريقية والرومانية، الفلسفة، القصة والرواية التي حاولت هي الأخرى بالدفع الديناميكي ومقوماتها الخاصة نخوض غمار هذا الوجود ومنها مؤخرًا رواية "مايسترو" لأمال مختار التي تغامر بشخصياتها في هذا العالم الرحب ومن خلفهم الكاتبة هنا وبقوة فهي الرحالة الأولى الباحثة في وعن شكل جديد لروايتها أين تبدأ رحلة البحث من داخل وخارج النص.

فالكاتبة حاملة للهم الإنساني إذ الموضوع المطروح ليس ترفاً فكرياً بقدر ما هو موضوع يرتقي بنص صاحبه إلى مصاف النصوص الباحثة في الذات الإنسانية، كنص حاول ويحاول من موقعه الإضافة عبر هذا الجنس الأدبي هذا خارج النص أما من داخله فهو المقطع المهم الذي وقفنا عنده واستطاعت الكاتبة موقعته بشكل أن تنتبه إليه أولاً وتعلق عليه ثانياً، المقطع الذي يتحاور فيه "عفيف" إحدى شخصيات

الكاتبة معها معتبرا إياها روائية مجنونة متسائلا عن مكانة الشخصية والسارد، طبيعة الكتابة وهل هي تسلية أم ماذا؟ وهو يواصل دفعها للكلام، للتدخل عندها تقول "فعلا سأقطع عنك الماء يا عفيف".

"أيها النزق ستنهض الآن من كرسيك الوثير، ستذهب إلى الحمام راغبا في حمام منعش استعدادا للسهرة التي قررتمها لك هذه الليلة وستجد الماء مقطوعا. ستسب وتلعن، وستظل كذلك على كسلك وعطشك حتى أشفق عليك فأرد لك سيل الماء. أما إذا تناولت علي ثانية فتأكد أنني سأقتلك. وأنت تعرف أنك شخصية من هراء، من لغة، من ثرثرة ويكفي أن أطلق عليك فعلا من أفعال الموت الذي تكرهه حتى تموت. كأن تغرق" الجزيرة العائمة" أو تغمد في قلبك إحدى ضحاياك من النساء سكين المطبخ أو بكل بساطة، أقطع عنك حبل الكلام فتتلاشى كما الضباب عندما تشرق شمس النهار"⁽¹⁾ مع توزيع غير عادل ومقصود لحراك الشخصيات والأحداث طوال صفحات الرواية.

أما باقي الرحلات فكانت مع الهوية ومقومات الشخصية والشرح الذي تحدته والذي يؤسس لجملة أفعال وردات الفعل وكان بطلها " ألفريدو" الذي عاش حياة عادية تقريبا حتى طرحت أمامه مسألة الهوية فكانت كالصاعقة أين قدرت والدته ثقل سرها عليه عندما قالت " لم أشأ أن، أرمي بك قبل الآن في دوامة من الأسئلة قد تلهيك عن دراستك وحياتك" لتبدأ الأسئلة طريقها إليه يحاور داخليا مسيرة أمه وموقفها منه ومما اقترفت يداها وجسدها في لحظة كانت بصماتها عميقة وتأثيرها أعمق في حياتها ثم في حياة ابنها الذي يجب أن يتقاسم معها هذا الحمل الذي أثقل كاهلها سنوات عديدة.

فسؤال الهوية قدمته الروائية كل لحظة حارقة ثم تنقلت من السلبية القائلة إلى التقدم بالمسألة في إطار رؤية الكاتبة على لسان ألفريدو القاتل "إذا ما قيمة الإنسان وهو مجهول النسب، منبت لا أصل له ولا جذور فيعود السؤال حارقاً أنا ابن من؟"⁽²⁾

لكن يحكم عقله وتجربة الإنسان في حراكه الاجتماعي وفي لحظة هدوء وسكينة وهذه لعبة القدر الذي رفض محاربه وإلا أصبح كمن يحارب طواحين الريح، فرغم اعتباره بدون هوية مما يجعل شخصيته عرجاء لكنه يعتبر الإشكالية مصطنعة، تعقيدات وضعها الإنسان ليحيلنا إلى الحياة البدائية ذات البساطة والقوانين الطبيعية لتلخص الروائية هذه الفكرة قائلة على لسان "ألفريدو" "فما قصص الهوية والانتماء إلا قصص مفتعلة صنعت لتدمر حياة الذين يصابون بحوادث قدرية وهم الغلبة في الوجود"⁽³⁾

"ولد القايد" ورحلة البحث عن الكيان بتعظيراتها العديدة، التعليم، الجنس، الجسد، العمل والدراسة هذه الشخصية الكارهة للارتباط، للروتين، للثبات، شخصية لا تريد غير الحرية.

هذا الكائن كان مرساه الأول الذي ارتاح عنده وكأنه محارب قادم من معارك طالت، سوق المتعة بشارعه القدر وكأبته الرمادية ورواده من الشباب المكتشف للجسد اللغز، الكهول والشيخوخ الذي أتى بهم الحنين ونسائه وأجسادهن المزرکشة بألوان الغواية هذا المرسى الذي علق عليه قائلاً "يعجني هناك وضوح العلاقة. وتعجني علانية قوانينها. لا رياء ولا أقنعة ولا أسئلة... هناك أشاهد المجتمع على حقيقته: مجتمع فج حيواني بلا أقنعة، فلا ثقافة ولا أخلاق"⁽⁴⁾

أما عن رحلة "الحاج الطاهر القايد" فهي قراءة لماضيهِ وحاضره ومستقبله من مكان مراقب، من القبر فهل نحتاج دائماً الأقنعة والحديث من وراء الحجب كي نجلد ذواتنا ونعترف بأخطائنا، فكل شخصيات الرواية في حالة بحث متواصلة إما على الهوية،

الكيان باحتياجاته، الجسد وأشياء أخرى مما يجعل القارئ والدارس لهذا النص يتابع باهتمام مسيرة هذه الشخصيات بجزيئاتها وتفصيلها العديدة.

ثم هاهي الذاكرة كانت وما زالت وستزال إحدى مستحضرات الكاتب في روايته الباحثة في أعماق هذه الشخصيات، الرواية التي تستنطق عمركي أحداثها فما بالك برواية "مايسترو" ذات المنحى الوجودي، المكرسة لقراءة وجودية لعدة إشكاليات، بصمات الماضي والذاكرة، أثر الحاضر فيهم، آفاق تفاعلهم معه ومستقبل أفعالهم وتصوراتهم الآتية أما الماضي والذي غالباً ما يؤسس جانباً هاماً من تركيبة شخصيتنا خاصة إذا فجعنا في أحداث ما، مورس علينا القمع الفكري والجسدي كما في مثال "ولد القايد" والذي كان يندس بين والديه لتذكرنا الرواية بعقدة أوديب عندما تحدث على لسان "ولد القايد" "أصبح الخوف يعقل خطواني إلى حضن أمي وبدأت أتبعه إلى أن أمي ليست أمي فقط أيضاً. وبدأت أفهم أن غضبك الدائم من علاقتي بأمي هو صراع خفي بيني وبينك على أمومة فاطمة لنا. يوم ضربتني، أذكر أنني عندما دفعت الباب ودخلت كنت تنام أنت في حضن فاطمة. لقد حز ذلك في نفسي وأوجعني أكثر من الضرب الذي تلقينته".⁽⁵⁾

حضرت الذاكرة كلما حضر فعل الحاضر الذي يتقاطع مضمونياً مع الماضي أو قواعد اجتماعية أبلغت للطفل في سنواته الأولى فتكون بلسمًا ونبراساً له في حاضره ومستقبله لكن إذا ارتبطت بالإكراه الغير مقصود فإن الانقلاب عليها يكون سهلاً كما في مثال ابن الشيخ الطاهر إذ يقول "كان يريد أن أكون خليفته، ذلك ما قالته الحاجة فاطمة فيما بعد، غير أن ما أحدثه تلك الخطب في هو عكس ما كان يطمح إليه الشيخ. قد غمرني والذي بطوفان من العلم في الفقه في سن لم أكن مؤهلاً فيها لاستيعاب تلك المعرفة حتى أنني كرهت ذلك كمن يكره الأكل بعد تخمة.

لقد أبعديني والذي من حيث أراد أن يقربني إلى عالمه لأتشربه وأعيد إنتاجه إلى الناس فيما بعد شيخا مثله.⁽⁶⁾

أما ما يميز طرح الروائية آمال مختار وهي تحاور ذاكرته وماضيه وطفولته هي علاقته بالجسد التي تطورت فيما بعد بدأ ابن الحاج الطاهر يكتشف الجسد في تجلياته الأولى في علاقة أمه بأبيه والتي غالبا ما أراد اكتشاف أسرار غلق الباب في وجهه ومحاولته التحسس على والديه من ثقب الباب ثم من الشباك وستارته لتصف الكاتبة على لسانه ما شاهد وماذا اكتشف إذ يقول " نظرت من خلال الستارة أرى المشهد الآن وقد حفر في ذاكرتي كأنه لوحة إيروسية تنز غواية. تداخلنا الأطراف حتى لم أعد أفرق بين يدي أُمِّي ويدي والذي وبين ساقيهما. كان ضوء الستارة كإيّا وكان الظل يغطي أغلب زوايا اللوحة. بدأ الجسدان وقد التحما في وضع عجيب كأنهما جسد لكائن حي واحد، ولهما هو جسد للمتعة أو هو جسد المشاعر والرغبة وقد مزجا اللحم البشري وصبراه في كتلة واحدة أضفت عليها الستارة ونصف الإضاءة مزيدا من العحائية.

تبدو اللوحة الآن في ذاكرتي غاية في الروعة، أما لحظتها وأنا أتفرج على حطام تمثالي الأبوة والأمومة وقد تحسما فقد كانت فاجعة الحقيقة. فزعت من رعب الصدمة وهربت باكيا إلى غرفتي."⁽⁷⁾

ليتكبر هذا المشهد مع عشيق أمه فاطمة إذ يقول "مرة أخرى أتفرج على أُمِّي وهي تعزف لحن للمتعة على أوتار جسدها، ها هي مع رجل غريب غير أبي، هاهي أميرة في ديكور رومانسي باذخ، في جلسة ملوكية... إنه جسد ناعم كمقاطع السنفونية"⁽⁸⁾ فعوض أن يثور دم الشرف في عروقه كما قال بل كان فخورا بما لأنها أكرمت جسدها وكانت تعرف قيمته جيدا كما علق "ألفريدو" على جسد والدته وقد خرجت من الحمام واعتبرها فاتنة لتدخل الكاتبة في جدلية الانهيارات والبناء وهي في

هذا النص تصادم بقوة ثوابت اجتماعية ومنها خاصة الأم كقيمة معنوية، وهي آخر محطة في سلسلة الاختيارات وأخطرها لتصف المتعة بتفاصيل دقيقة كأن تقبل المرأة وكأن الرجل يقدم قربانا، أسد ينهش متعته، هذا الجسد كان حاضرا طوال فصول الرواية ولكن غير توظيف ذكي فكانت لغته المتعة وكان لقاء إفراغ الشحنة، المتعة التي تتواصل في الزمن كلقاء "فاللا ريا" بوالد "الفريدو" وكانت لحظات عابرة لليلة عابرة لبقى النص في الأخير تونسسي باحثا عن العالمية لكن انطلاقا من المحلي بأنحجه وأزقته، بأمكنته وثقافته يذكر بك حديث الحوار لنجيب محفوظ، مدن غابريال غارسيا ماركيز مع عدة إشكاليات صاحبت هذا النص مثل الحرية المقولة والمفهوم التي تشق الرواية طولا وعرضا، عوالم الطمأنينة والسلام المطلوبين، النسيان، الطلاق، الزواج المبكر والمتأخر، قصص الحب العالقة، غيرة الأب وغيرها وغيرها.

الهوامش

- 1- رواية "مايسترو" - آمال مختار - دار سحر للنشر - الطبعة الأولى - 2006 ص (70-71)
- 2- نفس النص - ص (82-83)
- 3- نفس النص - ص (86)
- 4- نفس النص - ص (49-50)
- 5- نفس النص - ص (113)
- 6- نفس النص - ص (110-111)
- 7- نفس النص - ص (116-117)
- 8- نفس النص - ص (143)



الشيخ عبد العزيز الثعالبي

زعيم حركة الإصلاح والتجديد الديني

في العصر الحديث

بقلم : أ. عبد الكريم العطاوي

كنت منذ نعومة أظفاري ملازما ومتابعا- في نفس الوقت - لأحاديث والدي -رحمه الله- السياسية المتعلقة ببطش الاستعمار الفرنسي الغاشم، ضدّ الشعب التونسي وعلمائه الكبار، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي رفض هذا الاحتلال غير الشرعي، وآل على نفسه أن يكون مناضلا بارزا ضدّ هذا الاحتلال الفرنسي أولاً، وضدّ أعداء الدين الإسلامي ثانياً، وضدّ التخلف والركون والوهن الذي أصاب الشعب التونسي، والشعوب العربية والإسلامية ثالثاً، وداعية الإصلاح والتجديد الديني والمقاومة رابعاً، مما جعله يحقّ عرضة للتعذيب والأذى والسجن والملاحقة والنفي والترحال. بموجب ذلك أقول: ما المعروف عن السيرة الذاتية المتعلقة بالمصلح والمجدّد الكبير عبد العزيز الثعالبي؟. ومن الذي دفعه إلى هذا العمل البطولي؟. ألم يكن ذلك الشعور الوطني والقومي والإسلامي عنده محركاً له ضدّ الاستعمار الفرنسي، وضدّ ما أصاب وطنه من الوهن والتخلف؟ من الذي ساعده في كفاحه الإصلاحية ضد هذا الكابوس بمختلف أنواعه من المصلحين؟ وعلى أيّ شيء اعتمد في جهاده ومقاومته الإصلاحية تلك؟ ولماذا عدّ من المصلحين الأفاضل والمجدّدين الكبار؟

أقول أن :

1- سيرته الذاتية

في نظري تنحصر في ولادته ودراسته وانخراطه في المقاومة، و ترحاله إلى كثير من البلدان العربية والإسلامية، قصد التعريف بقضية بلاده.

أ-فولادته:

حسب الموسوعة الحرة: ولد في مدينة تونس في 5 سبتمبر 1876 في أسرة علم وفضل ودين وجهاد، من أصل جزائري، ترعرع في ظل رعاية جدّه المجاهد الكبير عبد الرحمان الثعالبي الذي كان من مجاهدي ووجهاء الجزائر، وتخلق بأخلاقه، وتشبّع بمبادئه وقيمه العليا. حيث كان جدّه هذا، قد قاتل الفرنسيين الذين غزوا بلاده الجزائر، سنة 1830 قتالا شديدا، ورفض كل الإغراءات التي قدمت إليه من الاستعمار، كمنصب قاضي القضاة، ثم غادر مدينته بحماية بالجزائر إلى تونس، مخلفا وراءه بيته وأمتعته وعقاره وأهله، وبالتالي وطنه من شدة البطش والأذى العنيف الذي لحقه من قبل الاستعمار الفرنسي الوحشي.

ب- أما دراسته وانخراطه في المقاومة: تتجلى في قراءته للقرآن عن مؤدّب، شأنه في ذلك كشأن زملائه من أبناء وطنه، فحفظ القرآن كله منذ نعومة أظفاره ، ودرس النحو والعقائد والآداب، قبل أن يلتحق بجامعة الزيتونة المعمور الذي أمضى فيه سبع سنين وتخرّج فيه حاملا شهادة التطويع، ثم تابع بعد ذلك دراسته العليا في المدرسة الخلدونية، ومن ثم تاقّت نفسه إلى الانخراط في صفوف المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي البغيض، من أجل النهوض بشعبه التونسي وأمتة العربية والإسلامية التي نامت قرونا طويلة حتّى ملّها الكرى، مما جعلها لقمة سائغة لذلك الاستعمار الجشع البغيض الذي غزاها بثلاثين ألف جندي، وأجبر الصادق باشا باي على إبرام معاهدة

باردو في 12/5/1881. لم يعترف الشعب التونسي بهذه المعاهدة، وكذلك العلماء التونسيون الذين كان في طلبتهم عبد العزيز الثعالبي، الذي رأى بآم عينيه ذلك الغزو الممحي بجيش محمي أيضا. اعتدى على كل شيء في البلاد، كما رأى أيضا الدموع تنهال من عين جدّه المجاهد، وهو يرى الفرنسيين يحتلون تونس بعدما احتلوا بلاده الجزائر.

بحكم ذلك اندفع إلى المشاركة في النضال السياسي ضدّ الاستعمار الفرنسي، فأسس الحزب الوطني الإسلامي، وكتب في الصحف الفرنسية والوطنية، وعطّب في الجماهير الشعبية، وحاضر داعيا إلى الاستقلال والحرية، فضايقة السلطات الفرنسية حتى اضطرتّه إلى الهروب من البلاد التونسية عام 1897. وبعد عودته من منفاه بعد أربع سنين. حاولت السلطات الفرنسية إغراءه، ففشلت فاعتقلته ودبرت له مؤامرة خسيسة ضده، زعمت للناس أنه كافر، فتحمهر الزعاع وهو مقيد في طريقه إلى المحكمة، وهم يهتفون: "اقتلوا الثعالبي الكافر"¹. ثم عرف الشعب التونسي بعد ذلك تلك المؤامرة الكاذبة، فثار ضد الاستعمار، فرضحت فرنسا لمطالبه، فأطلقت سراحه ووعدته بتحقيق مطالبه الجهادية، فعاد قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى سنة 1914.

لكن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، استأنف نشاطه النضالي، وسافر إلى باريس لشرح قضية بلاده، فقبضوا عليه كعادتهم الاستعمارية، ثم أفرجوا عليه، فاخرط بسرعة في "حركة تونس الفتاة" التي كانت تدعو إلى الاستقلال التام، ثم أنشأ وترأس بعد ذلك "الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1920" الذي اتخذ خطّة أقل وضوحا ومطالبة من خطّة حركة تونس الفتاة، وذلك عائد لعدّة اعتبارات من بينها تنظيم صفوفه وأعضائه من جديد.

¹ عن الموسوعة الحرة

ج- وأما ترحاله: كان القصد منه إيقاظ العرب والمسلمين، بالإضافة إلى القهر والاضطهاد الذي سلب عليه من قبل الاستعمار الغاشم. لكن مع ذلك كله، سأوجز رحلاته إلى صنفين: الصنف الأول وقع سنة 1897 والثاني وقع أيضا في سنة 1923. إلا أن رحلاته الأولى زار خلالها طرابلس الغرب وبنغازي ثم الأستانة ومصر، شارحا لرجالها قضية بلاده، كما طلب من حكام الأستانة تعزيز صلاتهم بتونس وفتح أبواب المدرسة الحربية في وجه الطلاب التونسيين.

أما رحلاته الثانية الممتدة من سنة 1923 إلى سنة 1937 كانت بسبب انقلاب الأمير "محمد الحبيب على الثعالبي" ورجاله، فحشي هؤلاء من بطشه، فقرّر الحزب الحر الدستوري التونسي، أن يسافر الثعالبي في هذه السنة 1923 إلى الشرق حماية لنفسه، فزار كثيرا من البلدان، أذكر البعض منها على سبيل المثال مصر والعراق وسورية والحجاز وأندونيسيا والإمارات والمقد. من أجل بلاده ومن أجل قضايا العرب والمسلمين، وتحمل في سبيل ذلك كثيرا من المضايقات الماثلة ومن ألوان العنت والتعب والتضحية الكبرى، وكان مع ذلك كله محلّ ترحاب، لما كان يمتاز به من علم وذكاء وفضل وتضحية وإيثار، لقد دعمته الصحافة العربية عامة والمصرية خاصة، وذلك بنشر أحاديثه ومحاضراته ومقالاته التي سجل فيها تجاربه ولقاءاته برجال العالم الإسلامي، وأثار فيها كثيرا من القضايا والبحوث عن المجتمع العربي والإسلامي وأحواله وما يتصل به من الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وما يحف بدينه الإسلامي من المخاطر، من قبل المستشرقين المتعصبين. منها أن غاندي قد سرق الحركة الوطنية من المسلمين، وجازت خدعته على العرب الذين كانوا يروحون له ولحركته دون أن يعرفوا أنهم مخدوعون: "والسبب في اهتمام الثعالبي بقضية المنبوذين في الهند إنساني ودعوى، أراد من خلالها أن يرفع عنهم الظلم، كما علم أنهم يفكرون في ترك الديانة الهندوسية، فاتصل بهم وبحث معهم مشكلاتهم وطمع في إسلامهم وقدم

لهم ما يسهل دخولهم في الإسلام بطريقة الحوار الإيجابي، الذي كان يمتاز به الثعالبي دون غيره²

بهذا نصل إلى الجواب عن:

من دفعه إلى هذا العمل البطولي؟

نقول أولاً أن ملازمته لجدّه عبد الرحمن الثعالبي الذي تخلّق بأخلاقه واتخذ مبادئه وقيمه العليا دستوراً مقدساً لحياته، كانت سبباً رئيسياً في تربيته، على هذا العمل البطولي الذي تحلى به، وتحلّى في نضاله ضدّ الاستعمار الفرنسي البغيض، وضدّ التخلف الاجتماعي والأخلاقي والثقافي والديني الذي أصاب مجتمعه، وسرى فيه كسريان الأمراض الفتّاكة في الأجساد البشرية، بحكم ذلك، قرّر الثعالبي أن يكون فداًئياً مخلصاً لقيادة وطنه التونسي والعربي والإسلامي، وأن يذود عنهم من موقعه الخاص بواسطة اتصاله بالجمهير الشعبية، عاملاً على توعيتها بالخطب أحياناً، وبالحوار والمحاضرات والكتابات في الصحف أحياناً أخرى. مبيّناً لهم تلك الإصلاحات التي هم بمنأى عنها، والتي ستعمل إن شاء الله تعالى على تغيير ما بأنفسهم عاجلاً أو آجلاً.

إن تمسكوا بها وعملوا على تطبيقها في حياتهم الاجتماعية.

2- اتصاله بنخبة من العلماء والمفكرين اتصالاً مباشراً:

كمحمد عبده ورشيد رضا وسالم بوحاجب وعبد الرحمن الكواكبي وعلي باش حانبه والشيخ مصطفى بن خليل، الذي قال الثعالبي في شأنه: "إنّه وحيد عصره وفريد دهره"³، وغير مباشر كجمال الدين الأفغاني والمصلح الكبير خير الدين باشا التونسي وغيرهم كثير.

² الموسوعة الحرة

³ الموسوعة الحرة

كل هؤلاء العلماء المصلحين والمقاومين الذين احتك بهم، واطّلع على تراثهم. اتخذهم قدوة حسنة لمسيرة نضاله وعمله الإصلاحية لفائدة وطنه التونسي والعربي والإسلامي معا، وسار على خطاهم، وبات عمله مكمّلا لمسيرة نضالهم، مما جعل عمله وعملهم يصب في بوتقة واحدة، ألا وهي النهوض بشعبهم العربي والإسلامي تحضة واعية وعصيّة على الاستعمار والتخلف معا. نتج عنها بروز مقاومة شعبية جماهيرية على نطاق أفقي من المحيط إلى الخليج، تمتاز بصلابتها وقوتها ودعمتها إلى يوم الناس هذا. ضد أشكال وأنواع الاستعمار والتخلف.

كلّ هذه التضحيات التي قام بها الثعالبي كانت نتيجة تأثره بالدعوة الإسلامية التي كانت تطلب منه، ومن غيره من العلماء والمفكرين والمصلحين المسلمين، الثبات على المبادئ القيمة، التي لا تقبل المساومة، ولا الإغراءات المادية ولا المصالح الخاصة، فاستجاب لها- في الحال- قلبا وقالبا، وعمل بقدرة طاقته على تطبيقها في مسيرته النضالية الإصلاحية، ضدّ تلك القوى المضادة لإرادة الشعب التونسي، والشعب العربي المسلم، مما يدلّ دلالة واضحة على:

3- شعوره الإيجابي، تجاه وطنه التونسي والعربي والإسلامي، ووقوفه أيضا ضدّ الاستعمار بمختلف أشكاله، وضدّ التخلف بمختلف أنواعه،

تجلّى ذلك في مواقفه عند اتصاله بقسم كبير من الشباب المسلم الذي عمل على تكوينه في سائر الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية والدينية، ودعاهم إلى التحرّر من التخلف والجمود والاستسلام. كما دعاهم أيضا إلى نبذ كل العادات والتقاليد والاعتقادات البالية البعيدة كلّ البعد عن روح الدين الإسلامي، وكذلك إلى نبذ الإلف والعادات السيئة بما قدره الله تعالى كذبا وزورا وبعدا عن مقاومة الاستسلام والقعود والقناعة بالأمر الواقع وقتئذ، الأمر الذي يتنافى ذلك مع الدعوة الإسلامية، ومع المقاومة الوطنية ضدّ الاستعمار البغيض الذي جاء خصيصا

لسلب أراضينا وعوائلنا وتقاليدينا وقيمنا الدينية السمحة، كما دعاهم أيضا إلى التفتح عن الحضارات الأجنبية لخدمة وطننا التونسي والعربي، حتى يكون متقدما، كما كان قبل أن يتطرق إليه الوهن والخمول في القرون الماضية، ابتداء من أواخر القرن السادس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، مبينا لهم بالحجة والبرهان إسهام الحضارة الإسلامية في تقدم الشعوب الأجنبية في شتى النظم السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية: كتبهم في الحساب والجبر والطب والعلوم الطبيعية والفلسفة والجغرافية، التي قدمها إلى الغرب بدون من ولا رياء، بواسطة الترجمة التي ازدهرت في المجتمع العباسي، ومع ذلك كله، لقد جحد الغرب الاستعماري هذه الخدمة النبيلة، وهذا الانتقال الحضاري، مدعيا أنه توصل إلى معرفة النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية بنفسه، وكأنه بهذا الاعتقاد ينفي التطور الحضاري عبر الأجيال الاجتماعية، ويثبت كذبة تاريخية، لا تنطلي إلا على الجاهلاء مثله، لأن المجتمع الغربي الاستعماري هو من بني السلالة الإنسانية التي تعترف بأن الإنسان مدني بالطبع يأخذ ويعطي، يتعلم ويعلم، من أين جاءه هذا التقدم الحضاري الذي يتباهى به، اللهم إلا إذا كان المجتمع العربي قد نزل عليه الوحي الإلهي الذي يحمل بين طياته التقدم الحضاري الذي أشرت إليه قبل قليل. وهذا التنبؤ العام، لم يكن معهودا ولم يصدقه التاريخ، عبر الأجيال الاجتماعية الإنسانية. ولم يحدث مرة واحدة عند أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، بناء على هذا:

4- من ساعده في كفاحه الإصلاحية ضد هذا الكابوس بمختلف أنواعه من المصلحين؟

أقول، كما قلت سابقا، أن ملازمته لجدته الشيخ عبد الرحمان الثعالبي الذي تشبع بمبادئه الإصلاحية ومقاومته ضد الاستعمار الفرنسي، التي كانت سببا قويا في مضيه في هذا الاتجاه الإيجابي، حيث تمسك بتلك المبادئ، واتخذها دستورا مقدسا في

نضاله، أينما وجد في حله وترحاله، وفي خطبه ومحاضراته وفي كتبه ومقالاته التي جعلته بحق رائدا كبيرا من رواد الإصلاّح، الذي أخذته منذ شبابه الباكر عن زعيمى النهضة الفكرية في تونس، ألا وهما: الشيخ سالم بوحاجب، والأستاذ البشير صفر كما تعرف بعد ذلك عن طريق الصحافة المصرية التي كان مولعا بمطالعتهـ على مواقف زعماء الإصلاّح الديني في الشرق: كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الرحمان الكواكى ومحمد كرد على وغيرهم كثير من المصلحين الذين، تضمن كتابه: **روح التحرر في القرآن** كثيرا من أفكارهم الإصلاّحية، لا سيما منها الدعوة إلى مقاومة الطرق الصوفية البالية، ونبد البدع المنافية للكتاب والسنة النبوية، وتحرير المرأة. مما جعل الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، يضعه ضمن المصلحين الكبار كقوله: "كان عبد العزيز الثعالبي داعيا دينيا، ومصلحا اجتماعيا، قبل أن يكون زعيما سياسيا، ولئن كان نظره السياسي محل اختلاف بينه وبين كثير من عناصر الأمة التونسية، فإن نظره الإصلاّحي كان محل اتفاق". وفق نظر أولئك المصلحين الذين: "كانوا يدعون إلى النهوض بالأمة الإسلامية، وتأسيس الحياة الاجتماعية والدينية على أسس أصول الإسلام الأولى، وإقامة الدليل على أن الإسلام في شكله الصحيح لا يتناقى مع المدنية الحديثة، ولا يعوق التطور والوصول إلى ما وصلت إليه الأمم المتقدمة الأخرى من تقدم ورقي".⁴

هذه الأفكار الإصلاّحية التي نادى بها زعماء الإصلاّح من قبله، تجسّمت عنده في جريدته "سبيل الرشاد" التي كترسها للدعوة إلى الإصلاّح الديني والاجتماعي ونشر التعليم ومقاومة البدع المنافية لروح التوحيد الخالص.⁵

⁴ الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وتجديد الفكر الديني ص 84

نفس المصدر السابق ص 84

⁵ نفس المصدر السابق ص 84

كلّ هذه التضحيات السياسية والاجتماعية التي قام بها الثعالبي، تجعله بحق علما من أعلام المصلحين الكبار، أمثال ابن خلدون، وغير الدين باشا التونسي، وأحمد بن أبي الضياف، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وعبد الرحمان الكواكبي، وسالم بوحاجب، معتمدا في حركته الإصلاحية على :

5 - أسس أصول الإسلام الأولى: " كالتمسك بالكتاب والسنة النبوية، ونبذ للمعتقدات والبدع المخالفة لروح القرآن، كالاتقاف في الأولياء الصالحين، والتردد على الزوايا والأضرحة والخضوع لمشائخ الطرق الصوفية الواهية"⁶. التي أعتبرها من أكبر الأسباب التي أسهمت في تعطيل تقدم الحضارة الإسلامية، وأساءت كثيرا إلى المسلمين وأخرتهم عدة قرون... ولا سبيل إلى التقدم الحضاري إلا بتخليص العقلية الإسلامية من شوائب الجهل والأوهام والتعصب ونشر التعليم وتأويل القرآن تأويلا صحيحا، كي يتسنى للمسلم أن يستمد العناصر القادرة على تغيير عقلية وتحويله إلى إنسان جدير حقا بهذا الاسم، أي إنسان حر ومتعلم ومتأثر بكل ماله علاقة بالإنسانية والرقى والحضارة"⁷.

كما اعتمد أيضا في حركته الإصلاحية على الحركة الاشتراكية الفرنسية المتعاطفة وقتئذ مع الشعب التونسي، والمناهضة للحركة الاستعمارية، فأمن مع هذه الحركة بانجهاها ومبادئها القيمة المستمدة من مبادئ الثورة الفرنسية، و نادى . بناء على ذلك - بحرية الفكر والمعتقد معا، ودعا إلى نشر التعليم ومحاربة البدع والتقاليد البالية:" والتسامح الذي يسعى إلى تحقيق التقارب بين بني الإنسان وجلب المنفعة إلى الجميع بدون استثناء، ومن ثم أخذ يدعو إلى تحقيق الحب والخير والتسامح تجاه متبعي الأديان الأخرى واحترام حرية الاعتقاد التي جاءت بها التعاليم القرآنية"⁸.

⁶ نفس المصدر السابق

⁷ نفس المصدر السابق ص 89 و 92

⁸ نفس المصدر السابق ص 92

بمقتضى هذه الرؤيا الواسعة، وهذا التفتح الإيجابي الذي يؤه - بحق - إلى دراسة الكثير من القضايا الشائكة وقتئذ، فتصدى لها، بكل المعطيات المتوفرة لديه وعمل على حلها وفق المسار الديمقراطي الحقيقي الذي جعله - بحق - رائدا.

6- من رواد المصلحين الأفاضل، والمجددين الكبار بدون منازع:

وذلك لاحتوائه على العوامل المتوفرة فيه، كتنخرجه من أسرة تربوية متمسكة بدينها، ولغتها العربية وتقاليدها الاجتماعية وتراثها الحضاري وقيمها العليا، العvisية عن الاستعمار التوطيني والثقافي معا، كما ظهر ذلك جليا في سيرة جده عبد الرحمان الثعالبي، وكاطلاعه الدقيق أيضا ، على أصول الدعوة الإسلامية، التي كانت تطلب منه الاعتصام بحبل الله المتين الكائن في رحاب جامع الزيتونة المعمور، الذي تلقى فيه الدراسة الإسلامية المتسمة بالمواقف المعتدلة الوسطية، والبعيدة كل البعد عن التطرف المشين، فنشأ معتدلا متفتحاً على الحضارة الإنسانية، وعلى الأديان السماوية وعلى النظريات العقلية الوضعية، كالأشتركية التي تفاعل معها تفاعلا إيجابيا في مطالها الإنسانية، ووقوفها ضد النزعة الاستعمارية والعنصرية البغضية، مما يؤه بحق إلى مرتبة عليا إلى الإصلاح الديني والاجتماعي، شأنه في ذلك كشأن خير الدين باشا التونسي، وجمال الدين الأفغاني وسالم بوحاجب، الذين أخذ عنهم مبادئهم الإصلاحية وأضاف إليها الكثير مما عنده، مما جعل ذلك المزيج من العمل الإصلاحي والتجديد الديني، يصب في بوتقة واحدة" ألا وهي النهوض بالأمة العربية والإسلامية من ذهولها وسباتها العميق الذي استمر أكثر من أربعة قرون خلت، إزاء هذا، أقول:"
أنا مدينون بالولاء والاعتراف والتقدير لكل المصلحين والمجددين لدينا الإسلامي الذي يعتبر خاتم الأديان السماوية، وصالحا لكل زمان ومكان، باعتبار توافقه الممتاز مع التقدم الحضاري.

الموقع الأثري: عين فرنة

(4)

بقلم: ألفة الشحي

مشروع الصيانة:

تعتبر منطقة عين فرنة زاخرة بالآثار التراثية والتاريخية التي سبق ذكرها مما خلفته الحضارات وتركته الأجيال السابقة سواء كانت (شواهد قبور أو بقايا معصرة أو فسيفساء...)

لا بد من الاهتمام بقيمة بقايا هذه الآثار والموقع برمته مع تزايد الوعي التاريخي لأنها ليست فقط مجموعة من بقايا مباني بل هي نسق تاريخي أثري يستدعي الحفاظ على هذا الموقع حيث لا تضيق هويته وخصوصيته هذه المدينة. ولتحقيق الصيانة يجب توفير الوسائل والآليات القانونية اللازمة منها والعلاجية... يتم ذلك لأهداف وغايات علمية وثقافية وتدرسية وسياحية... لذلك علينا بدراسة حالة الموقع وأهميته التاريخية لأنه من الضروري أن يكون الموقع معروف ومدروس من قبل مختصين أثريين قبل البدء في أي عمل أثري. علينا أن نقوم بعملية الصيانة لأنها الجزء الأساسي والمكتمل لأي مشروع كان. للصيانة العديد من المعاني وفي هذا السياق تعني جملة من الطرق والعمليات التي نرمي بها إلى العناية بالموقع والتمديد في وجوده إلى أطول أمد ممكن لتحقيق دعموته وحمايته من الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها وتتسبب في إتلافه. "إنَّ الغرض من صيانة وترميم المباني التاريخية وحمايتها باعتبارها أعمالاً فنية وشواهد تاريخية". لأن مهمة الباحث في تهيئة مشروع أثري تراثي السهر عليه قصد

صيانة الموقع أولاً ثم البحث عن أوجه توظيفه والاستفادة منه ثانياً كالتوظيف الثقافي مثلاً (عرض ما يوجد في الموقع من نقائش ونقود وحزف... في المتحف) التوظيف المعرفي (كتابة تاريخ الآثار إن وجدت) والتوظيف الاقتصادي...
نخلص من وراء القيام بصيانة وترميم الموقع الأثري إلى التعرف على الحضارات السابقة من خلال مخلفاتها التاريخية كذلك نسعى إلى أن تكون آمنة وسهلة المنال للأجيال المتعاقبة، إن المحافظة على المواقع وصيانة المخلفات دون أي تغيير في الوضعية التي وجد فيها.

وبناء على ذلك يتم رفض التوسع والتجديد العشوائي لهذه المدينة بل يجب العناية بهذه المواقع وصيانة حدودها.

لكن هناك بعض المخلفات القديمة جداً ذات الحجم الصغير، يصعب التعرف على شكلها الأصلي عند عرضها في المتحف في هذه الحالة من الضروري القيام ببعض الأعمال التقنية لكي يتمكن الزائر من معرفة الأثر وفهمه، في هذه الصيانة نحن إزاء إشكال يتمثل في هدم وسرقة واضمحلال هذه الآثار بفعل الزمن ولمعالجة هذه المخلفات والمشاكل يجب القيام بحماية الموقع وذلك بواسطة تسييج وحراسته من كل الجهات ثم القيام بتهيئة مشروع والمتمثل في إحداث متحف موقعي...؟

تسييج الموقع:

تختلف أنظمة حماية المواقع الأثرية حسب المكان والزمان والسكان... فمن أجل حماية دائمة لمدينة عين فرنة من الضروري أن نقوم بتسييج موقعها الأثري لأسباب متنوعة: كالسرقة والتلوث والتكسير وخاصة الحفر العشوائي بحثاً عن الكنوز...

لذلك من الأفضل وضع سياج لكامل الموقع، الذي يبلغ 26 هكتار، ويكون مرتفعاً مع ترك مسافة بين السياج والموقع لأننا لا نعلم ما تحفيه طبقات الأرض من آثار من المحتمل أن تكون هناك مخلفات أثرية خارج السور لذلك نترك مسافة بينهما كما أنه

على الأرجح أن يكون السّياج من الحديد فضلا من الحجارة لأنّها لا تمكّننا من رؤية ما بالداخل، بالإضافة إلى هذا السّياج من الممكن أيضا أن نضع حاجزا يمنع من لمس مناطق معينة وسريعة التأثير بفعل الزمن كقطع الفسيفساء... هذه الحواجز تمنع الزّائر من الوصول إليها فمن خلالها تبقى الحجارة والنقائش والفسيفساء والأقواس محمية وذات صيانة أكثر إلى أطول مدى ممكن.

من المهم جدا أن نقوم بتسييج هذا الموقع لأنه ذا قيمة تاريخيّة كبيرة في هذه الحال سيكون المكان أكثر حفاظا وحماية ورعاية ممّا كان عليه سابقا من إهمال سواء كان طبيعي أو بشري...

حراسة الموقع:

لتحقيق حماية أكثر "بعين فرنة" من المناسب وضع حراس وليس حارس فقط لأنه واحد لا يكفي فالموقع كبير ويستحق عدد كبير من الحراس للقيام بحماية المنطقة الأثرية بأكملها من الأعمال الخفيّة والغير مسموح بها كالسرقة والتنقيب عن الكنوز... لأن الآثار الموجودة هي التي تدل على تاريخ وارث الحضارات السّابقة بشكل عام وهذا المهم أيضا أن تقوم الشرطة بجولات دورية لحراسة المنطقة وعدم تعرّضها للنّهب والتّخريب...

في هذا السّياق يجب أولا توعية سكّان المنطقة حول أهمية القيمة التاريخية للمخلفات الأثرية كي يفهموا ويحترموا هذا الثّراث التاريخي ويكون أول حراس هذه الآثار هم سكّان المنطقة.

فالحراسة إذن هي من ضروريات حماية وصيانة المنطقة، وتكون الحراسة ليلا نهارا لإعطاء الموقع أكثر حماية وحفاظ لما يحتويه من آثار ذات قيمة تاريخيّة عريقة، توعوية وثقافيّة وجماليّة... عندما تكون الحراسة دائمة ومستمرة تنفادي أغلب الأضرار التي تهدد الموقع ولما لا نقول تنعدم تماما ويصبح الموقع أكثر أهميّة وحماية أثرية تراثية.

محاولة إعادة الموقع إلى حالته الأصلية:

بعد مرور عدة قرون على تواجد آثار "فرزة" تحت الأتربة ودفنها تحت الأرض حتى ضاعت منه وظيفته، لكن اليوم نريد أن نقوم بإعادته لما كان عليه سابقا وإعادة اعتباره من أجل بقاءه قابلا للزيارة وتاريخنا للأجيال القادمة لمواجهة هذه العمليات علينا التخطيط المسبق للصيانة الأثرية وإنجاز هذا المشروع يجب الاعتماد على موارد مالية كافية لإنجاز الأعمال التالية:

- دراسة مفصلة للموقع من قبل فريق أثري مختص في هذا العمل.
- تنظيف الموقع والحفاظة عليه دون أي تغيير فيه: "إنّ تعويض جزء مفقود من المبنى يجب أن يندمج وينسجم مع الهيكل العام للمبنى الأصلي ولكن يجب في نفس الوقت تمييزه عن الأجزاء الأصلية لكي لا يؤدي الترميم إلى تزيف الشواهد الفنية والتاريخية".
- القيام بعملية التنقيب الأثري.
- إعادة إنشاء الأبنية على شكلها الأصلي.
- إمكانية التمييز بين الطراز القديم والحديث.
- إعادة المخلفات إلى وظيفتها الأصلية.

ثم تأتي مرحلة نقل المواد إلى المتحف الذي سيحفظها في المستقبل بعد تنظيفها في المخابر حيث تكون، الصيانة مضمونة أكثر وبشكل كامل لكن من جملة هذه القواعد يعتبر إعادة الموقع إلى حالته الأصلية من أهم وأفضل القواعد، لأن بفضل هذه الطريقة يكتسي الموقع أهمية تاريخية، لكن لا يجب أن يكون التخطيط لإعادة الموقع لحالته الأصلية هو الأمر الأول والأخير. إذ يجب التخطيط أيضا لترميم بعض المخلفات مع العلم وكما ذكرنا سابقا يجب الحذر في التمييز بين مواد البناء القديمة والمواد المستعملة في عملية الترميم الحديثة، وإعادة المنشآت المعمارية إلى حالتها الأصلية قصد الزيارة ليصبح الموقع أكثر أهمية جمالية وواضحة للزائرين.

الهدف من مشروع الصيانة هو حماية المعالم الأثرية قصد البحث العلمي أو تلك الأماكن الأخرى ذات الأهمية التاريخية الكبيرة والثقافية والعلمية التي تتطلب القيام بصيانتها والحفاظ عليها ليشاهدها الجمهور وذلك لتحقيق أهداف أساسية منها الاجتماعية والتعليمية للناس الذين يبدون اهتماما كبيرا بماضيهم الحضاري والتاريخي، لعل هذا الأمر يتسبب في زيارة أكثر عدد ممكن من المهتمين الآثاريين لانباز مشاريع توظيفية مختلفة.

الملاحظ أن الاهتمام بمشروع الصيانة "بعين فرنة" تركز حول تسييج وحراسة الموقع وإعادةه إلى حالته الأصلية وهو ما لاحظناه حسب هذه الدراسة بأن أشغال الصيانة قد تختلف من موقع إلى آخر.

مشروع التوظيف:

إنّ عملية التوظيف لها دور فعال وهام في إحياء موروثة الحضاري وذلك بعد عمليات الصيانة والتزيم لموقع أثري يقام وتحتيته لأخذ شكلا مناسباً للمشروع المعد توظيفه: من طرقات وإشارات (تساعد الزائر على تحوله في الموقع دون أي صعوبة) كذلك مناطق للراحة كي يستطيع السائح أن يرتاح دون أن يشعر بأي ملل خاصة وأن المكان يكون مهياً بجميع الضروريات (حديقة، قاعات، عرض، مراحيض...) أيضاً توظيف متحف موقعي يحفظ كل ما يوجد بالموقع (نقائش أو عملة أو بقايا من الرخام والخزف...) سواء قبل أو بعد عملية التنقيب لإبراز ما يحتويه الموقع من أجزاء تاريخية أثرية.

من ثم لا بد من إنتاج سياسة تهدف إلى الموقع الأثري بـ "فرنة" لأنّ بهذا الأسلوب السياسي المعتمد في مشروع توظيفي يمكن تنمية نشاطات متنوعة اقتصادية، ثقافية، تجارية، تقليدية... داخل المنطقة وتوسيعها وتطويرها واتساع النشاط السياحي.

من هنا يصبح للمدينة صبغة تاريخية ثقافية... لأن مثل هذه المشاريع ترمي إلى الحفاظ على مختلف ما أتلّف وكسّر وأهل... سواء عن طريق العوامل الداخلية والخارجية.

طرق السير والإشارات:

حتى تتمكن من التعرف والتحول فيما يشمله الموقع الأثري "بعين فرنة" من آثار يجب القيام ببعض الأساسيات التي تمكننا من معرفة المكان بأكمله لأنه شاسع، وذلك من خلال وضع علامات إرشاد وإشارات في الباب الرئيسي كذلك كي يتمكن الزائر من التحول فيه دون أية صعوبة من هنا يمكننا أن نقوم بخط مسير فوق الأرض كي يتبعها الزائر وتكون واضحة. لها نفس العرض من البداية إلى النهاية (1.5 متر)، وفي جانب هذه الطرق يجب استعمال أعمدة حديدية مطلية بألوان مختلفة وتكون فيما بينها موصولة بحبل سميك وبهذه الطريقة يتم منع الزائرين من العبور إلى الآثار وعدم لمس المناطق المتهممة والحساسية لما خلفه الزمن من أضرار...
 بهذا الشكل تبقى سليمة من أذى الزائرين المتحولين وتجذب أكثر مما يمكن من المشاكل مثل هذه الحواجز تخدم مصلحة الموقع الأثري وكذلك مصلحة الزائر.
 من المناسب ألا نقوم بدرجات في المنحدرات وذلك لتسهيل عملية التحول بذلك يقل عدد الزائرين خاصة العجزة والأطفال في هذه الحالة نقوم بوضع هياكل على مستوى الأرض مصنعة من الخشب.

للأهمية التراثية والكشف للجمهور واسع عن تراث كان غائرا ومتروكا بالنسبة لهم من الضروري أن نزود الجمهور بمعلومات تتمثل في وضع سلسلة من الإشارات في الطريق نفسه حيث تشير بوجود أماكن ذو أهمية فنية تراثية تاريخية أو أثرية مخفية.
 هذا بالإضافة إلى وضع مخطط الموقع ومعلومات عن الفترات التي مرت عليه... في البوابة يجب أن لا تتغافل على وضع تأشيريات على الطريق إلى الأماكن ذات أهمية

(من خرائب كانت تستعمل للحزن وكذلك من كافيتيريا ومراحيض وأماكن أخرى للراحة...)

مناطق الاستراحة:

بالإضافة إلى ما يوجد في هذا المعلم الأثري من تأشيرات ولافتات وطرق سير إلا أنه يجب أن تتوفر فيه منطقة مخصصة للراحة والتنزه مثلا. كأن تقوم بغراسة بعض الأشجار ذات جذور قصيرة الامتداد وإنشاء مضلات تقي من الشمس ولا تنقصها الكراسي والطاولات للجلوس وتوفير الماء الصالح للشرب وبعض الحاويات للمهمات لجعل المكان نظيف.

فالمكان المناسب لهذه الحديقة "عين فرنة" إذن هو قرب مجرى المياه لأنه مكان رائع فيه ما يمتع العيون خاصة جمال الطبيعة من حجارة كبيرة ومياه عذبة ولا نستحق للكراسي والطاولات من الخشب بل هي موجودة من الحجارة. فهي حقيقة تكون حديقة أثرية ويمكن أن تكون أيضا مركز للتنشيط والحوار الثقافي. ومكانا للتمتع والاتصال بين الأفراد، كما يجب أن نحدد هذه المنطقة بشكل واضح بشرائط نباتية بدورها تكون عنصر مكمل للحديقة الأثرية كذلك يمكن أن نقوم فيها ببعض الأنشطة التربوية مع ثلة من الطلاب الذين يأتون إلى زيارة الموقع كالقيام بأعمال رسم حر على ما أعجبهم في زيارتهم للموقع، طبعا تكون رسوم أثرية تاريخية ومن هنا تبدأ الأعمال تدريجيا...

في هذه الحديقة يتمتع الزائر بالمناظر الأثرية والراحة النفسية خاصة وأن "عين فرنة" لا تخلو من مناظرها الطبيعية سواء من حيث الغراسات أو الزراعات...

مع ما سنضيفه (من ورود وأشجار أخرى للزينة وألوان نظلي بها ما يستحق الطلي...)

طبعا هذه الحديقة تستخدم محيط هذه المنطقة كي يأخذ الزائر فكرة عامة وهامة على المعنى الثقافي والتاريخي لهذه الحديقة ومدى أهمية المنطقة ككل.



نموذجان من سلال لمناطق الراحة (سلة مضادة للحرائق وسلة عادية)

متحف موقعي:

إنه لمن المهم أن نقوم ببناء متحف صغير فوتوغرافي بالقرب من الموقع الأثري "بفرنة" والهدف من ذلك هو صيانة وحماية الآثار القديمة التي فقدت وظيفتها الأصلية باستعمالنا لها وبوظيفتها في هذا المتحف نجعلها تعيش أكثر ما يمكن بذلك نحصل على مركز تعليمي وترهوي يخدم الزائر حيث أنه لن تقتصر الزيارة على التحول بين المخلفات فقط بل يستفيد الزائر من هذه المراكز التعليمية ليكون له فكرة عامة على الموقع وأهميته. كما أنه يجب أن يضم هذا المتحف فقط القطع التي وجدت في الموقع بل أيضا الصور الملتقطة أثناء الحفر أو مواد أخرى خاصة بالتنقيب، على ذكر عملية التنقيب يجب أن تقام حفرة أولا تحت منزل أحد المستثمرين طبعا بعد هدم المنزل لأنه بني على الآثار ثم يقام المتحف بعد التأكد من وجودها أو عدم وجودها تحت هذا المبنى ثم اختيار الموقع المناسب من مكان شاغر والباقي نستثمره في بناء بعض المخازن أو مشرب... لأنه قريب من الطريق والمدرسة والتكثّل السكاني.

لكن لإقامة هذا المتحف الموقعي يجب إتباع الشروط الواجب توفيرها:

- يجب أن يحتوي على مجموعة ثابتة للصيانة والدراسة والعرض.
- أن يكون البناء مزوداً بالتجهيزات الضرورية لاحتواء المجموعات المذكورة.
- أن يكون مفتوحاً للجمهور بمواعيد ثابتة ضمن أوقات دوام محددة.
- أن يعتمد على فريق تقني كاف لإدارة المركز.
- أن يكون مزوداً بجهاز إداري من الموظفين وعمّال التنظيف والصيانة المناسبة طبعا لمشروع متحفى يكون مزود بقاعدة تحتية مناسبة لجعله منطقة ممكنة للزيارة ومفتوحة للجمهور كما يمكن تحويله على مركز بحث علمي (تعليم دائم، حوار ثقافي...) من أجل محاولة تسهيل قراءة جديدة للفعل الأثري أو حتى ليكون مكاناً للتمتع والاتصال بين الناس.

إن عملية إقامة متحف في موقع "عين فونة" يفيد في:

- جعله مركزاً لصيانة المخلفات المكتشفة قبل عرضها للجمهور بذلك تكون الصيانة جيدة وبشكل مضمون أكثر.
- بقاء المواد الأثرية آمنة أي ضمن تدابير الأمن والحراسة الضرورية والأساسية من أجل الصيانة والحفاظة التامة.
- بقاء التجهيزات مناسبة كعرض البحث والعمل ومخازن ثابتة وصلات عرض دائمة.
- إجراء الصيانة الدورية المستمرة.

إن الهدف الأساسي من هذا المتحف هو إعادة بناء التاريخ والحياة والعادات والتقاليد للناس الذين عاشوا في الزمن القديم من خلال المخلفات التي تركوها لنا (تحت وفوق الموقع الأثري من تاريخ عميق) فالدراسات والصور تأتي لتكون برهانا أكثر وضوحاً للذي تم العثور عليه في الموقع، وهي النتيجة النهائية في البحث العلمي،

وهوة (المتحف) سيعود بالمنفعة الاستثمارية على المنطقة ككل سواء كانت اجتماعية (مردودية جيدة)، فلاحية (بيع للمواد الفلاحية للزائرين وخاصة الأجانب من حبوب، زيت، زيتون...)،

من هنا ستصبح الجهة أكثر صيانة ونمو وخاصة من الناحية العملية أي تتوفر بها مواطن شغل، طبعاً يكون هذا من خلال وسائل الإعلام والدعاية والإشهار بالموقع داخل وخارج تونس، وما تحصل عليه الموقع الأثري من مشاريع تحفة وتوظيف وإقبال للزائر عليه.

رغم وجود متاحف قرب مواقع أثرية كمتحف (مكشر، كسرى، سوريا، لبنان...) إلا أن متحف عين فرنة غير موجود سواء من حيث الموقع أو الآثار الموظفة داخله. إن أشغال مشروع التوظيف تسعى للحفاظ على مختلف المعالم التي توارثناها من الحضارات السابقة (من عملة ونحزف يعود إلى الفترة الرومانية والوسيطه) التي تأثرت وأتلفت من جراء الإهمال وكذلك العوامل الطبيعية بالتالي فإن الموقع "عين فرنة" الأثري بحاجة ماسة إلى التوظيف وذلك لبقاء طابعها التاريخي والأثري الذي تميزت به عن المعالم العصرية.

خاتمة:

تملك "برقو" في مختلف مواقعها الأثرية وخاصة "عين فرنة" مجموعة من الآثار القديمة (الرومانية والبيزنطية...) لهذا التراث قيمة تاريخية رمزية علاوة على قيمته الانتفاعية البحتة فهو يؤدي وظيفة اجتماعية يتمكن الإنسان من خلالها من إبراز الخطوة التي يجب أن يتمتع بها بين أترابه أولاً ثم بين الدول.

رغم ذلك فإن الموقع يتعرض إلى مشاكل طبيعية وبشرية ولتفادي هذه المشاكل نقوم بمشروع صيانة وتوظيف الموقع الأثري ويجب الحفاظ على كل ما هو تاريخي في صورته

ومنشآته وصيانة طابعها ووظيفتها وإنشائها والسعي نحو جماليات الآثار الموجودة وصيانة المشاريع الموظفة "المتحف الموقعي"، على النحو الذي يحفظ لهذه المدينة هويتها التاريخية والأثرية ولا يغير من ذلك شيئاً.

يجب الانتباه في هذه الحالة إلى ضرورة أن أي تطوير في الموقع لا يلغي مقتضيات الحفاظ على صورتها الأولى فالمعالم وطرق السير والإشارات ومناطق الراحة والمتحف... ينبغي لها أن تستمر من أجل الحفاظ على كل ما هو أثري تاريخي وبشكل قيمة له.

يستمر موقع "عين فرنة" دال على الحضور التاريخي والثقافي والحضاري والبشري لذلك⁹ "لا يصيب الشيء شهرة أو يعدّ قدماً ذا قيمة إلا إذا كان من صنع أهل البلاد"

وأملنا أن يزيد هذا العمل في معرفة ثروة البلاد من أروع الثروات التونسية فالصفحات السابقة كشفت مظاهر بارزة من آثار ومشاريع صيانة وتوظيف في "فرنة" بذلك تمثل بالنسبة إلى الذين زاروا الموقع منذ سنوات ذاته فرصة لتذكّره وأما بالنسبة إلى من عاداهم فهي دعوة إلى زيارتها.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>



ماء عين فرنة

⁹ سمير عطا الله، موسوعة المعلومات العامة، المتفقون 1983، دار عطا الله للبحر، مؤسسة

إمهال المدين

(2)

بقلم : القاضي فاروق حفاصني

النظام القانوني لإمهال المدين

إن دراسة النظام القانوني لإمهال المدين تتطلب منا البحث في شروط الإمهال (المبحث الأول) ثم آثاره (المبحث الثاني)

*المبحث الأول: شروط الإمهال:

يمكن تقسيم شروط الإمهال إلى شروط شخصية (الفقرة الأولى) وإلى شروط موضوعية (الفقرة الثانية)

*الفقرة الأولى: الشروط الشخصية للإمهال

وتتمثل هذه الشروط في شروط هم المدين (الفرع الأول) إلى جانب ضرورة المحافظة على مصلحة الدائن (الفرع الثاني)

الفرع الأول: على مستوى المدين

و يشترط في المدين أن يكون حسن النية (أ) وأن يكون في وضع صعب يستدعي إمهاله (ب)

أ- حسن نية المدين:

لا شك في أن مبدأ حسن النية هو مبدأ مهيم على نظرية الالتزامات بصفة عامة كما يتجلى ذلك من الأحكام المنظمة للعيوب المبطللة للرضاء الفصل (43) وما بعده من م 1 ع) وخاصة منها تلك المتعلقة بالتغيرير (الفصل 56 من م 1 ع) وأحكام

الفصل (243 من م 1 ع)¹ ولعل أهمية هذا المبدأ جعلت أغلب التشريعات تكرسه صراحة فقد جاء مثلاً بالفصل 1134 من المجلة المدنية الفرنسية أن الاتفاقات تنفذ بحسن نية.

ورغم التطبيقات القانونية العديدة لهذا المبدأ تجدر الإشارة إلى وجود صعوبة حقيقية في ضبط مفهومه. وكما لاحظ بعضهم² أنّ مبدأ حسن النية هو مبدأ فلسفي يصعب حصره وتحديده. لكن مع ذلك فإنّ هذا المبدأ يبقى واحداً في جوهره رغم أن مظاهره تختلف من حالة إلى أخرى فمظهره يختلف باختلاف مركزه ففي مادة الاتفاقات يعني مبدأ حسن النية الوفاء بالتعهدات بكلّ أمانة ونزاهة وتجنب الغش والخداع سواء في مرحلة تكوين العقد أو في مرحلة التنفيذ أما فيما يتعلق بالإهمال للمدين فإن مبدأ حسن النية يرتقي ليصبح شرطاً لا بد من توفره لمنح الإهمال بقدر القاضي مدى توفره بحسب وجدانه الخالص. وحسن النية في هذا الإطار يمكن تحديده بالإرادة الطيبة التي يظهر بها المدين بغية تنفيذ التزاماته ووفاء ديونه.

إن حسن النية كشرط للإهمال يتمظهر في تصرفات المدين التي تعكس إرادته المصممة على تنفيذ الالتزام أي كما يرى بعضهم³ أن المدين قد بذل قصارى جهده وسعى بدون جدوى لتنفيذ التزامه وأنه مقر العزم على الوفاء مستقبلاً أي يشترط أن تتوفر فيه عناية الرجل الحريص على الوفاء بتعهداته.

وإذا ما بحثنا عن أساس قانوني لتكريس المشرع لهذا الشرط يمكن القول أن التشريع التونسي خلافاً لبعض القوانين المقارنة⁴ قد كرس هذا الشرط بصفة ضمنية إذ نصّ الفصل 137 من م 1 ع "غير أنه فيما عدى استخلاص دين دولي أو بلدي أو دين

¹ الأستاذ محمد الزين: النظرية العامة للالتزامات الجزء الأول العقد ص 18

² البير فرحات: حسن النية في الموجبات والعقود ص 53 وما يليها .

³ ديماسي بدع منصور: عنصر الثبات وعامل التغيير في العقد القانوني والفرنسي واللبناني ص 310.

⁴ الفصل 300 من قانون الموجبات اللباني "يحق للقاضي أن يمنح المدين حسن النية مهلاً للإيفاء فيجعل الدين أقساطاً"

راجع لمحل عمومي دولي يمكن إعطاء أجل معقول لتنفيذ الحكم مع اتخاذ الاحتياطات الكبرى وعدم وقوع ضرر فادح للدائن وذلك عندما يبين المدين أن الأجل المذكور يسهل له الخلاص حيث يمكن له افتراض مال تحت شروط أحسن من القديمة أو عندما يتبين أن عدم التنفيذ سببه خارج عن إرادته.

إن عبارات هذا الفصل تؤكد على اشتراط حسن النية.

إذ أورد المشرع مثالا على برهنة المدين عن حسن نيته كأن يبين أنه بإمكانه اقتراض مال تحت شروط أحسن من القديمة كما أن إثبات المدين أن عدم التنفيذ خارج عن إرادته هو في حقيقة الأمر إثبات لسوء الحظ الذي منعه من تنفيذ التزامه⁵ كما أن الإمهال يبقى مجرد استثناء لذلك قيد المشرع من سلطة القاضي في منح الإمهال بأن اشترط اتخاذ الاحتياطات الكبرى وعدم وقوع ضرر فادح للدائن وذلك حتى لا يتحول الإمهال على حد تعبير العميد جورج ريبار إلى حق للمدين في عدم خلاص ديونه⁶ إذ قد تكون غاية المدين فقط التنكيل بالدائن أي مجرد وسيلة للتفصي من أحكام المماطلة.

وإذا ما عدنا إلى فقه القضاء نجد أن بعض المحاكم تقر بحسن النية كشرط من شروط الإمهال ونشير هنا إلى قرار استعجالي صدر عن محكمة بن عروس الابتدائية⁷ وقد جاء في إحدى حثياته ما يلي "وحيث ولئن كان المبدأ أن يتم الوفاء فوراً بمجرد ترتب الالتزام نهائياً في ذمة المدين إلا أن المشرع حوّل للمحكمة إمكانية إمهال المدين إلى أجل معقول مهما كانت طبيعة التزامه ومنحه مدة من الزمن يكون خلالها في مأمن من أعمال التنفيذ الجبري من قبل الدائن إلا أنه قيد ذلك بشروط موضوعية

⁵ بربوش فتحي الأجل في العقد مذكرة لتليل شهادة الدراسات المعمقة في القانون الخاص كلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس 1995-1996.

⁶ George ripert le droit de ne pas payer ses dettes D 1936 n°28 chronique XV

⁷ قرار استعجالي عدد 13138 بتاريخ 1999/2/23 محكمة بن عروس الابتدائية (غير منشور)

روعي فيها من جهة أن يكون المدين حسن النية وذلك عندما ما يثبت وجود ظروف استثنائية وصعبة خارجة عن إرادته حالت دونه ودون تنفيذ الالتزام رغم انه بذل قصارى جهده في ذلك.

كما جاء بالحيثية الموالية ما يلي:

"وحيث وتصفح أوراق القضية ثبت للمحكمة أن المدعية تمر بظروف اجتماعية صعبة جعلتها تعجز ماديا عن إيجاد محل سكني آخر إضافة إلى أنها أرملة تعول أبنائها الصغار الذين يزاولون دراستهم بالمدرسة القريبة من المنزل المراد إِمهالها البقاء فيه إلى موفى السنة الدراسية".

ب) وضعية المدين

من المفترض في المدين طالب الإمهال مروره بصعوبات جدية وحقيقية وإلا فإنه يكون حتما سيء النية لكن بالرجوع إلى الفصل 137 نلاحظ أن المشرع التونسي وعلافا لأغلب التشريعات المقارنة⁸ لم يشر بصفة صريحة إلى وضعية المدين واكتفى بالتنصيص على إمكانية منح آجال الفضل وذلك عندما يبين المدين أن الأجل المذكور يسهل له الخلاص... أو عندما يبين أن عدم التنفيذ سببه خارج عن إرادته ولعل ما يفهم من عبارة - يسهل له الخلاص - هو أن المدين يمر بوضعية مالية صعبة وأن منحه أجلا معينا للوفاء أو تقسيط الدين يمكنه من الوفاء في ظروف أحسن وعليه فإن هذا الشرط الأول - إثبات أن الإمهال يسهل له الخلاص - مرتبط بالمركز

⁸ Ancien art 1244 c.civf (loi 20 août 1936) A L2 "Les juges peuvent néanmoins.En considération la position du débiteur et compte tenu de la situation économique accorder pour le paiement des délais..."

Art 1244-1 nouveau (loi 09/07/1991)"toutefois.compte tenu de la situation du débiteur..."

الفصل 281 مدني جزائري: "يجوز للقضاة نظرا لمركز المدين ومراعاة للحالة الاقتصادية أن يمنحوا آجالا ملائمة للظروف دون أن تتجاوز مدة سنة..."

المالي للمدين الذي يجب أن يكون متدهورا بعض الشيء على أن تلك الصعوبات تقتضي توفر بعض المواصفات إذ يجب أن تكون مجرد أزمة مؤقتة وعابرة وأن لا تصل وضعية المدين إلى درجة الإعسار إذ أنه من أؤكد شروط الإمهال هو أن المدين مازال قادرا على الخلاص.

وفي هذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى أن وضعية المدين تمثل المعيار الجوهرى في تطبيق آليات إنقاذ المؤسسات التي تمر بصعوبات اقتصادية إذ جاء بالفصل 2 من قانون 17 أبريل 1995 المشار إليه آنفا أنه يتضمن نظام الإنقاذ الإشعار بيوادر الصعوبات الاقتصادية والتسوية الرضائية والتسوية القضائية وبالرجوع إلى القانون المذكور نثبت أن تطبيق التدابير الواردة بالفصل 2 المذكور يكون بحسب مدى خطورة الصعوبات المالية التي يمر بها المدين فكلما تزداد وضعيته خطورة يقع تطبيق إجراءات أكثر نجاعة.

وأخيرا نشير إلى أن إثبات المدين للسبب الأجنبي الذي منعه من التنفيذ - سببه خارج عن إرادته - يشكل حسب عبارات الفصل 137 سندا مستقلا لطلب الإمهال لكن ما المقصود بالسبب الأجنبي؟

لا شك في أن السبب الأجنبي إما أن يكون قوة قاهرة أو ظروفًا طارئة تخل بالتوازن العقدي لكن يحسن بنا البحث في مدى انطباق هذين السببين على صورة الفصل 137 من م.ع.

من المتفق عليه أن القوة القاهرة كما عرفها المشرع صلب الفصل 283 م.ع⁹ تتميز باستحالة الدفع واستحالة التوقع، كما أنها تجعل تنفيذ العقد مستحيلا وقد اعتبرها

⁹ نص الفصل 283 من م.ع على ما يلي " القوة القاهرة التي لا يتيسر معها الوفاء بالعقد هي كل شيء لا يستطيع الإنسان دفعه كالحوادث الطبيعية من فيضان ماء وقلّة أمطار وزوايع وحريق وجراد أو كهجوم جيش العدو أو فعل الأمير .

المشرع سببا للإعفاء من المسؤولية العقدية فلا يلزم المدين بتعويض الخسارة عملا بأحكام الفصل 282 من م.ع .

وتأسيسا على ما سبق بيانه فلا يمكن القبول في اعتقادنا بالقوة القاهرة كأساس يبرر طلب الإمهال إذ أن الإمهال هو حل لمساعدة المدين على الوفاء بالتزامه في ظروف أحسن والحال أن القوة القاهرة تجعل التنفيذ مستحيلا وتعفي المدين من المسؤولية العقدية .

أما فيما تعلق بالظروف الطارئة فخلافا لأغلب التشريعات العربية¹⁰ فلم يضع المشرع التونسي قاعدة عامة تكرر هذه النظرية ولعل ذلك يعود بالأساس إلى الحفاظ على استقرار المعاملات وضمنان مصداقيتها فنظرية الظروف الطارئة تمثل ثغرة ينفذ منها القاضي إلى العقد فينال من قوته الملزمة إذ هو يعدل العقد بطلب من أحد المتعاقدين بدون رضا الآخر لكن تجدر بنا الإشارة كما ذهب إلى ذلك بعضهم¹¹ أنه يتضح من بعض القواعد القانونية المتفرقة تدل أن المشرع لا ينبد المراجعة القضائية للعقود بصورة مطلقة.

وفي اعتقادنا أنه ولئن لم يكرس المشرع نظرية الظروف الطارئة فقد اختار حلا وسطا من شأنه الإبقاء على العقد وتأمين استمراره من جهة ومساعدة للمدين على مجابهة الإرهاق العقدي الذي أحاط به وكان ذلك عبر منح آجال الفضل أو تقسيط الديون.

الفرع الثاني: مصلحة الدائن

لئن أقر المشرع بإمكانية منح الإمهال فإنه قد قدم مصلحة الدائن على وضعية المدين فزيادة على الإبقاء على مبدأ منع الإمهال بالفقرة الأولى من الفصل 137 بما يجعل قاعدة الإمهال مجرد استثناء فإنه قيد من هذا الاستثناء بأن ألزم القاضي بضرورة

¹⁰ الفصل 147 من المجلة المدنية الجزائرية الفصل 142 / 2 من المجلة المدنية العراقية الفصل 147 من القانون المدني المصري.

¹¹ الأستاذ محمد الزين المرجع السابق ص 248

اتخاذ الاحتياطات الكبرى عند منحه لأجل فضلي للمدين ومراعاة مصلحة الدائن بالتأكد من أن إمهال المدين لن يسبب للدائن ضررا فادحا الأمر الذي يضييق من نفوذ القاضي ويقلص من ميدان اجتهاده وعلاوة على ذلك فإن المشرع قد حدد مدة الإمهال إذ اقتضى الفصل 137 أن الأجل الممنوح إن يتجاوز عاما واحدا ولا يمكن تجديده.

وبناء على ما تقدم نشير إلى أن منح الإمهال يتوقف على هذا الشرط حتى ولو أثبت المدين توفر كافة الشروط التي أوجبها القانون في جانبه إذ أنه ليس من العدل إغاثة المدين عن طريق الأضرار البالغ بالدائن ونورد في هذا السياق القرار الاستعجالي¹² التالي الذي جاء في إحدى حيثياته ما يلي:

حيث أن طلب الإمهال إلى موفى شهر جوان 1999 يعتبر من قبيل التعسف على إرادة الطرفين إذ هو يؤدي إلى تمديد العقد قرابة سنة أخرى الأمر الذي يضر بمصالح المالك الشرعي وفي خصوص طبيعة الضرر الذي قد يلحق بالدائن نلاحظ أن المشرع قد وصفه بالضرر الفادح دون أي توضيح.

من المؤكد أن هذا الضرر يجب أن يكون مؤثرا في المركز المالي للدائن كما أن الضرر التافه أو البسيط لا يحول دون إمكانية المدين وعليه فالقاضي ملزم بإيجاد توازن معقول بين وضعية المدين التي تستدعي إمهاله ومصلحة الدائن التي تتطلب استيفاء حقه في أقرب الآجال فإن توصل إلى مثل هذا التوازن يمكنه منح المدين أجلا فضليا يعلق إجراءات التنفيذ.

هذا ونشير إلى أن الضرر الذي قد يلحق بالدائن يجب أن يكون حالا ومحقق الوقوع. ذلك أن الضرر المحتمل لا يمكن أن يكون حائلا دون الإمهال وإلا تحول إلى حد لقاعدة الإمهال. وأخيرا بقي أن نشير إلى منح الإمهال للمدين قد يفوت على

¹² قرار استعجالي المحكمة الابتدائية بين عروس عدد 12533 بتاريخ 1998/10/27 (غير منشور)

الدائن أرباحا كان بإمكانه تحقيقها لو أوفى المدين بالتزامه في الأجل المتفق عليه كأن يستثمر مبلغ الدين مثلا.

إن فوات بعض الأرباح على الدائن خلال فترة الإمهال أمر مفروغ منه. ذلك أن استحابة المحكمة لطلب الإمهال هو في نهاية الأمر تغليب لمصلحة المدين على حساب الدائن إعمالا لقواعد العدالة والإنصاف كما أن المشرع قد حدد مدة الإمهال بفترة لا تفوق سنة واحدة وهي غير قابلة للتحديد. كما أنه للمحكمة أن تأخذ هذه المسألة بعين الاعتبار عند تحديدها لمدة الإمهال وتمنح آجالا معقولة وترتب عنها فائضا مخفضا. وذلك أنه على المحكمة اتخاذ الاحتياطات الكفيرة عملا بأحكام الفصل 137 لمراعاة مصلحة الدائن.

الفقرة الثانية: الشروط الموضوعية

تمثل الشروط الموضوعية في عدم قيام مانع من الإمهال (الفرع الأول) وبعض الشروط المتعلقة بممارسة دعوى الإمهال (الفرع الثاني).

الفرع الأول: عدم قيام مانع من الإمهال

إن موانع الإمهال تتمثل في بعض الموانع الاتفاقية (أ) ثم في موانع قانونية (ب) وأخيرا قد تشكل طبيعة الالتزام مانعا للإمهال (ج).

أ) الموانع الاتفاقية

من الثابت أن قاعدة الفصل 137 من م ا ع هي من بين القواعد التي لا يمكن الاتفاق على خلافها وعليه فكل تنازل مسبق عن مطلب الإمهال يعتبر كأنه لم يكن. والاعتبارات الإنسانية والأخلاقية التي دفعت إلى تكريس الإمهال القضائي تفرض المحافظة على هذه المهل والحيلولة دون إزالتها من الدائن وهو الطرف القوي في

التعاقد بوضعه بندا يحرم المدين من الإمهال مما يحول سلطة القضاء في إعطاء المهل سلطة نظرية محضة.

ونشير في هذا الإطار بأنه كان على المشرع أن ينص صراحة على غرار المشرع الفرنسي¹³ على أن كل شرط مخالف لهذه القاعدة يعتبر لاغيا.

لكن نجد هذه القاعدة حدا إذ قد يتضمن العقد لشرط فسخي طبقا لأحكام الفصل 274 من م ا ع الذي نص على أنه "إذا اشترط العاقد أن عدم وفاء أحدهما بما التزم به يوجب فسخ العقد فإن العقد يفسخ بمجرد وقوع ذلك" أو قد ينص القانون على ذلك إذ اقتضى الفصل 23 من قانون 25 ماي 1977 المتعلق بالأكرية التجارية مثلا "يفسخ عقد الكراء عند عدم الخلاص لمعين الكراء في الآجال المتفق عليها وذلك بعد مضي ثلاثة أشهر على صدور تنبيه بالدفع بواسطة عدل منفذ ولم يأت بنتيجة"

وفي هاتين الحالتين لا يكون للمحكمة أي سلطة تقديرية ويكون الحكم الصادر عن المحكمة مقررا للفسخ لا كاشفا له أما في غير هذه الصور فإنه يبقى للمحكمة إمكانية رفض طلب الفسخ ومنح المدين أجلا للوفاء. وقد أقرت محكمة التعقيب هذا الاتجاه في إحدى قراراتها¹⁴ الذي جاء فيه "إن القانون وإن تعرض إلى أن عدم وفاء المكتري بالكراء في الإبان يوجب فسخ العقد إلا أنه نص أيضا على أن هذا الفسخ إذا لم يكن حاصلا من شرط اتفاقي فلا بد من طلبه من الحاكم والمحكمة لها الحق حينئذ في منح اجل معقول لخلاص المدين ومطلق الاجتهاد في تقرير الفسخ من عدمه كما يتضح ذلك من الفصل 137 من المجلة المدنية وما نقح به"

Art 1244-3 loi 09/07/1991 toute stipulation contraire aux dispositions des articles 1244-2 est stipule non ecrite.

¹⁴ قرار تعقيبي مدني مورخ في 1955/05/03 عدد 137 ق ت 1960 ع 9 ص 187.

ب) الموانع القانونية

كما سبق وأن أشرنا فإن الإمهال يبقى استثناءاً لمبدأ فورية الوفاء بالالتزام وعلى ذلك الأساس منع المشرع الإمهال صراحة في عديد الحالات سواء بموجب القاعدة العامة أو بعض القواعد الخاصة.

لقد منع الفصل 137 من م 1 ع صراحة الإمهال في الديون الراجعة للدولة أو البلديات أو المؤسسات العمومية كما انه في مادة الأوراق التجارية فقد كرس المشرع مبدأ منع منح آجال الفضل ولم يقر بإمكانية الإمهال إلا في صور خاصة جداً إذ نصت الفقرة الثانية من الفصل 338 من المجلة التجارية على أنه "لا يجوز منح آجال الفضل إلا في الصور المنصوص عليها بالفصلين 306 و 316 من هذه المجلة" ولقد نصت الفقرة الأخيرة من الفصل 306 من م 1 ت "على أنه يمكن للضامنين الذين أقيمت عليهم دعوى الرجوع بالضمان في الأحوال المبينة بالفقرتين الثانية والثالثة السابقتين أن يقدموا خلال الثلاثة أيام من القيام عليهم لرئيس المحكمة التي بدأرتها مقرهم طلباً بالتماس آجال وإذا كان الطلب مثبتاً فإنه يصدر قراراً يتعين الوقت الذي يجب فيه على الضامنين دفع مبلغ الأوراق التجارية المعنية بالأمر بدون أن تتجاوز الآجال الممنوحة التاريخ المعين للحلول وهذا القرار لا يكون قابلاً للاستئناف" كما نصت الفقرة الأولى من الفصل 316 من م 1 ت أنه "إذا حال حائل لا يمكن تذليله دون عرض الكميالية أو تحرير الاحتجاج في الآجال المعنية كوجود نص قانوني بإحدى الدول أو غير ذلك من ظروف القوة القاهرة فإن الآجال المذكورة يقع تمديدها".

كما كرس المشرع منع منح آجال الفضل بالنسبة للشيك بموجب الفصل 341 من المجلة التجارية والسند للأمر بموجب الفصل 406 من م 1 ت.

ج) طبيعة الالتزام

لم يشترط المشرع أن يكون موضوع الدين مبلغا من النقود لتمكين المدين من أجل معقول لتنفيذ التزامه فليس لموضوع الدين أدنى تأثير على إمكانية إمهال المدين فهذا الأخير يمكن أن يمنحه القاضي أجل فضلي وإن التزم بعمل معين ومن ذلك أن محكمة التعقيب قد اعتبرت "أن عدم تسليم المبيع في الأجل لا يكفي وحده لفسخ البيع بل يجب على حكام الأصل أن يتثبتوا طبق الفصل 137 من المجلة المدنية هل أن تأخير التسليم يضر بالمشتري أو لا" ¹⁵ نفس النتيجة التي أقرتها صراحة إحدى المحاكم الفرنسية ¹⁶ بأن بينت أن عبارة الفصل 1244 (الموافق للفصل 137 من م ا ع) مطلقة ولا تنطبق فقط على الالتزامات التي يكون موضوعها مبلغا ماليا. بل تسري على كافة الالتزامات بجميع أنواعها وحتى الالتزام بالقيام بعمل.

لكن نحدد بنا الإشارة إلى أن بعض الالتزامات بحكم طبيعتها لا تقبل الإمهال من ذلك أن إمهال المستودع لترجيع الوديعة أمر غير ممكن إذ اقتضى الفصل 1008 من م ا ع أنه "على المستودع ترجيع الوديعة لمودعها بمجرد طلبه إياها ولو قبل حلول الأجل المعين" فإذا التمس المستودع من القاضي أجلا فضليا لإرجاع الوديعة فذلك يعني أن هذه الأخيرة لم تعد في تصرفه أنه لم يتم بتنفيذ الالتزام الأساسي لهذا العقد والمتمثل في حفظ الشيء مما قد يعرضه للتبع الجزائي من أجل خيانة المؤمن كما نشير أيضا بأن الالتزام بتعويض الأضرار الناجمة عن الجنحة أو شبه الجنحة وبصفة عامة المسؤولية التقصيرية لا تقبل الإمهال بطبيعتها لأن الدائن متضرر وأن الإمهال يضر به بالضرورة.

¹⁵ قرار تعقيبي مؤرخ في 1960/06/29 م ق ت عدد 4 ص 4

¹⁶ La cours d'appel de paris (14 eme CH. 28/11/1990 Dalloze 1991 IR 30 « L'article 1244 est un texte de droit commun de portée générale qui s'applique non seulement au débiteur d'une somme d'argent mais encore a tout ceux qui sont tenus d'une obligation quelconque notamment d'une obligation de faire par exemple de libérer un logement »

**الفرع الثاني: ممارسة دعوى الإهمال.

من الثابت أن تقدم المدين بطلب الإهمال يكون في حالتين: إما أثناء الدعوى التي يرفعها الدائن مطالباً بخلاص الدين وإما أثناء مباشرة الدائن لإجراءات التنفيذ ولعل ذلك يدفعنا إلى البحث عن المحكمة المختصة بالنظر في مطلب الإهمال.

لقد جاء بالفقرة الأولى من الفصل 137 من م إ ع أنه " ليس للمجلس أن يضرب أجلاً لعاقده أو يمهله على وجه الفضل...." ثم وضعت الفقرة الموالية استثناءً لذلك ونصت على أنه " يمكن إعطاء أجل معقول لتنفيذ الحكم". ثم نصت الفقرة ما قبل الأخيرة " وللحاكم أن يرخص للمدين أن يخلص دينه بدفعات متوالية" ونصت الفقرة الأخيرة "وتنسحب أحكام الفصل 149 من هذا القانون على أجل المعطى من الحاكم".

إن ما يفهم من عبارات الفصل 137 أولاً: " أن المجلس الابتدائي أي المحكمة الابتدائية مختصة بالنظر في مطالب الإهمال إذ منعت الفقرة الأولى على المجلس منح الإهمال ثم وضع المشرع استثناءً لذلك وهو ما تفيد به عبارة " غير أنه " أي أن المحكمة الابتدائية مختصة بمنح الإهمال بشرط توفر شروطه لكن نجد المشرع يتحدث في الفقرتين الأخيرتين عن الحاكم وكأنه يتحدث عن الحاكم الفردي أو بعبارة أخرى حاكم الناحية. لكن قد لا يكون ذلك هو مقصد المشرع ذلك أنه أول محكمة ناحية تم إحداثها كانت بمدينة جربة وذلك بموجب أمر 12 أكتوبر 1923 ثم أحدثت محاكم النواحي بمقتضى الأمر المؤرخ في 23 /7/ 1938 بينما نقح الفصل 137 سنة 1922 أي قبل إحداث محاكم النواحي.

في اعتقادنا وأنه بقطع النظر عن مقصد المشرع من عبارة الحاكم فلا خلاف في أن كل محكمة تكون مختصة بالنظر بالدعوى التي يرفعها الدائن يطالب فيها مدينه بالوفاء بالالتزام تكون مختصة بالنظر في دعوى الإهمال ولا شك في أن دعوى الإهمال هنا تكون في شكل دعوى معارضة. وعليه فحاكم الناحية يكون مختصاً إلى

حدود سبعة آلاف دينار والمحكمة الابتدائية فيما فاق المبلغ المذكور. هذا وتجدر الإشارة إلى أنه قد جرى العمل على رفع الإمهال أمام القضاء الاستعجالي وذلك نظراً لحالة التأكد التي يكون فيها المدين المهدد بالتنفيذ ذلك أن المدين إذا ما طلب إمهاله في نطاق دعوى معارضة للدعوى الأصلية التي رفعها الدائن فيكون قد أقر بمدىونيته تجاه هذا الأخير وعليه فإن اللجوء إلى القضاء الاستعجالي لطلب الإمهال يكون الغالب إذ أن المدين غالباً ما يناقش في مدىونية في حد ذاتها ولا يلجأ إلى طلب الإمهال إلا بعد صدور حكم ضده بالإلزام. ولعل الإشكال الذي يطرح في هذا الصدد يتمثل في أنه هل يمكن للمدين أن يتقدم بمطلب في الإمهال أثناء مباشرة الدائن لإجراءات التنفيذ بموجب سند تنفيذي؟

من المؤكد أن السند التنفيذي يتمثل في حكم محلي بالصيغة التنفيذية وعليه فلا يحق مبدئياً لقاض آخر أن يحد من ذلك الحكم إلا إذا كان ذلك عن طريق الطعن فيه بأوجه الطعن المقررة قانوناً.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لكن في اعتقادنا أن المشرع قد حسم هذا الإشكال إذ نص الفصل 137 على أنه "يمكن إعطاء أجل معقول لتنفيذ الحكم" أي أن المشرع قد خول للمحكمة "إمهال المدين عند توفر شروط معينة بالرغم من صدور حكم يلزم المدين بالوفاء بالالتزام وعليه يمكن أن نعتبر أن الإمهال هو حالة خاصة من حالات وقف التنفيذ التي جاءت بما مجلة المرافعات المدنية والتجارية ومنها صورة الفصل 209 و 146 و 12 ولا يمكن أن نعتبر أن هناك تعارض بين الأحكام كما سنبين ذلك لاحقاً.

إلا أنه تجدر بنا الملاحظة أنه إذا طلب المدين الإمهال أثناء سير الدعوى التي رفعها الدائن مطالباً بالوفاء فلا يبقى له إلا الالتجاء إلى القضاء الاستعجالي إذ لا يمكن لمحكمة الأصل أن تصدر حكماً بالإلزام لفائدة الدائن ثم تصدر حكماً آخر بالإمهال لفائدة المدين.

قاهر المستحيل

شعر: عبد السلام لصيلع

[إلى أعي وصديقي العزيز الأزهر النقطي.. الإنسان والمبدع.. وقاهر المستحيل محبة ووفاء واعترافا بالجميل..]-

أراه	في الأسواق
صامتاً..	مع الأشواق،
ثابت الرأس..	نحو القصة.
يفكر..	أراه أحيانا
يسير على الرصيف،	مهموماً وحزيناً،
رويداً..	وحيداً
رويداً..	في ركن مقهى،
لا يُزعج أحداً..	يشرب قهوته،
بخطاه المتعبة.	يكتب بحته
أو أراه	أو قصيدته.
مُسرعاً	أراه أحيانا
على أجنحة المحبة	بشوشاً
أو يخرق الشارع الكبير	وسعيداً
يمر بين الناس سهماً	مع صديق

فِي لُحَجِ الْكِتَابَةِ
 وَالصَّدَاقَةِ،
 السَّابِغُ فِي بُحُورِ الطَّيْبَةِ
 وَالرَّوْعَةِ..
 الْوَاقِفُ
 عَلَى الرَّمَالِ الْمُتَحَرِّكَةِ
 سَنِبَلَةُ خَضِرَاءِ.
 فِي كُلِّ الْفُصُولِ
 أَرَاهُ بَيْنَنَا
 يَرَانَا بِقَلْبِهِ،
 نَرَاهُ يُوزَعُ الدَّفْعُ
 وَالْأَمَلُ
 وَالْوَفَاءُ.
 لَا يَعْرِفُ الْحَقْدُ
 وَالْكَيْدُ.
 عِنْوَانُهُ الْقِنَاعَةُ
 وَالْعَقَّةُ
 وَالْحَيَاءُ.

رَفِيقِ
 يَقْرَأُ لَهُ مَا يَشَاءُ.
 وَكَثِيرًا مَا أَحَدُهُ
 مَتَأَلَّفًا
 وَمَتَأَنَّفًا
 مَعَ أَصْدِقَاءِ.
 دَائِمًا نَلْتَقِي فِي الشَّارِعِ
 أَوْ فِي الْمَكْتَبِ
 أَوْ يَأْتِينِي صَوْتُهُ وَدُودًا
 فِي الْهَاتِفِ،
 يَسْأَلُ
 يَسْتَفْسِرُ
 لَا يَتَكَبَّرُ..
 هَذَا الْفَتَى الْجَنُوبِيُّ
 الزَّاهِرُ
 الْأَزْهَرُ،
 الْعَاشِقُ
 الْغَارِقُ

والبُوسَ	ظَلَامُهُ نَوْرَ
يَقْفَهُ لَيْلُهُ الطَّوِيلَ	وَضِيَاءَ.
والمستحيلَ.	مسافرَ
يُحِبُّ الوطنَ	مع الجريدة والكتابِ
والتَّاسَ،	في المدى..
يُحِبُّهُ الْمُحِبُّونَ	يحاصره الزمنُ الأحْمَقُ
والطَّيِّبُونَ..	أَلْقَمِيءُ بِالْأَوْبَاشِ
يُحِبُّهُمْ	والمظالمِ
يعيش لَهْمُ.	والمفاسدِ
طَوْبَى لَهُ،	والتواغيتِ
لا يأتي منه الأذى،	واللَّوْمِ
هو روح خفيفةٌ	والغدرِ
كقطرة الندى	والرَّذَى
كرائحة العطرِ	يُقَاوِمُ
في الفجرِ	يَصْبِرُ
بين الصَّوْتِ والصَّدى.	يَقْفَهُ اليأسَ

التعثر في حراشف الثورة

شعر: مختار المومني

{إليها وقد أتعبها انتظار المستحيل}

الأمان أبعد من نجمة الصبح يا آمنة

والدروب ملغمة



ARCHIVE

<http://archivebeta.sakhril.com>

كرقة طير

في سماننا الغائمة

المدينة تغرق في برد المسافات

الإمام يصلي صلاة الفريضة

يدعو على أهل اليسار

ويدعو لأهل اليمين

السياسي يلعن أهل اليمين

يسرف في الموعد المنمق:

- ما سوف يأتي

أجمل من أيامنا الراهنة

الأمان أبعد من نجمة الصبح يا آمنة

والجرائد ترحل في التفاصيل المملة

والتلفزات العديدة

ساحة للخصام

ولغو الكلام

والجموع حيارى

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

تتبعها اللحظة الراهنة

الأمان أبعد من نجمة الصبح يا آمنة

والبلاد نافذة مشرعة

وقد أشرقت

بثورتها الواعدة

غير أن الرياح اللواقح

مخاتلة .. خائنة

علا...قات

شعر: الحبيب دربال

تصدير:

قل لمن همهم في الناس وخاف الكلمات :: إنما أنت شفاه ظمئت للكلمات
يهدر الشعر في الناس وتحيا الكلمات :: ويعوتون بلا ذكرى وتبقى الكلمات
منور صمادح - مستشفى الرازي-

أي ربوعك يا ولدي

لم تستو مسغبة وعذابا ؟! أي ؟!

وأي كنوز الأرض تفكر فيك

متى تبرد سماؤك أو يكفر رعد ؟!

وأي ؟! ؟! ؟!

لذا أشفقت عليك من الإعصار يفتح صلياً،

يستحلي نقر الدف،

فضرب الكف،

يشر - آناء القرض وأطراف الرّفص -

بـ "خوصصة" القصّ

و"هيمنة" النصّ على النصّ !

نعم أشفقت عليك ،

على "كاف" يترصدّ "لأما" مبتور اليد،

حيّاني مرتبكاً.

تمتم، طأطأ رأسه منفلتاً إلا من ضربة سيف ثمّ

هوى،

فعضضت على نصّي

الضارب في رحم الدهشة،

المسكون بـ "هسترة" العشاق يجازى عن آخر

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

محركة كشف ؟! ؟! ؟!

ثمّة أشياء تؤزّق مجرى النهر،

وقد تنقضّ عليه، عليك، علي..... .

حين رأيت "الكاف" يحرك رجليه

وبهذي، أو يتهياً للفتك وقد يخفي

أطلقت نصوصي تستقرئ ماضيه

ففاجأني ميم فتاك،

ديست إثره أقنعة ومرايا،
اهتزّت أعمدة وحواش لم أر أسوأ منها،
نطقت قطط وكلاب ...
أهي الآزفة الآن ؟؟ ؟
لحظتها رفرف فوقه جنّي لم يطو ثلاثينه بعد،
دنا منه، فلم ينبس .
ظنّه أبكم، أخرس،
ظنّه معتوها، ظنّه
احمرّت عينا الجنّي،
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>
صكّ الأرض وأنشد :
"آه ! من يحميني من زمني المرتد ؟ ،
كيف أحرّرتني يا السّراج¹ من لغة لم
تطفئ ظمئي ؟ ، كيف ؟
(تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها،
أثوابها رثّة والرّجل حافية ... الخ...)"

¹ ابن السراج (ابوبكر محمد) ت929، نحوي بغدادي من تلاميذه الزجاجي وابو سعيد السيرافي وابو العلي الفارسي، له شرح كتاب سيبويه وكتاب الأصول الكبير

ثم استدرك حيران :
"يموت الحرّ، فهل يقفو خطوات أبيه ؟!،
يتخلّى عن لغة نضره ؟!
ورؤى الذّ وأبهى ؟!"
قاطعته،:

لما شقّ "الكاف" عصا الطاعة في وجه رؤاه
انحرف ...

حاول أن يعتو عن أمر يعنيه،

يشتبّ قسيّاً سرفاً،

لكنه يخشى الحرف،

نعم يخشاه إذا جلجل وارتجف...

حملقت طويلاً...

ألفيت صديقي كـ "الوزغة" يزحف،

يتأفف،

جملاً يهتاج، يندد،

ويهدد،

وعلى ظهر الجني يؤكد:

إن ابد غريب البيت سليل الآه

تباغتني بلوأي وقد تترد،

فلي في "أختي" مراحم شتى...

صاح اللام:

الملهوف أنا،

أنا لا خمرة لي بعد اليوم،

ولا تثريب علي،

نعم لا تثريب إذا راودت امرأة تتقن (فن العوم)،

فهل أتوقع أن ينسفني ماء كالمهل،

عفاريت على حياة رخ تتبارى؟! <http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

تغفر يومئذ زلاتي.....

عبس الجني، تنهد،

أفصح عن خارطة تلغي ما سلف ...،

وتمهد للفتك بفتك قد يتجدد،

ثم تلا سورا لا يأتيها الساحر

من بين يديه ومن.....،

مهما يرغ ويزيد....،

ابتسم ابن السراج وردد:
ينصفني كافك (لا يقي ولا يذر)
لامك متى لا احد يفتن في القتل ويعتذر،
(ك ل م) تسكنني،
تسكن ريشاتي، لوحاتي،
تسكن أحلى امرأة عاشقها
أجمل نص لن يكتب بعد...
ARCHIVE
أخلص من وجع المكثود،
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
تصحو لغتي، نصا يتحدى العتك
متى يلتف جراد العصر
على كلمي المفقود،
وطني المرعود
المنكود
المضهود
(ك ل م) الشاهد والمشهود...

في غمد النور

شعر: أميرة الرويقي

طريق تنوء

وعتمة

من نوء



ARCHIVE

قُدّاس الصّمت

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بدا

سياطا

تنهال مزقا

أنام الجلال في غمده ؟

أفتحت أنفاس

على هاوية؟



شعوذة في الوطن

شعر: مصطفى حمرون

وأبحث عنك في سواك
فيفنى الكل
وتبقى كالجبروت
متوحدة في برجك
ترعين من نور هذا الملكوت

أرجوك
من عمق الأحزان أعيدني
إلى توقيع التاريخ ضمني
في شكل إحساسي في الأنام
خطيني
قبل الموت
قبل أن يهترئ العمر ويفوت

دعوني فأنا مشغول
أبحث عن امرأة في شكل
الصوت
الأمواج لا تقترب
الأمطار لا تتحب

صدري أمسى عندي كالتابوت

ما كل ما يمشي
يمسك بالأسواق
ما كل ما يبقى
ينسى خطوات المجد المشدود
إلى ذكراك

يرقبه تمثال صموت

قد رصع لأجلك ظلما بالجوهر

والياقوت

سكت الناس لوقع خطاي

كل المجد مداي

لا شغل للناس ألي

كم من موت هذا الصوت

عجز العدد عن المعدود

لا قيس لأضلاع الصوت

إلا الفوت <http://Archivebeta.Sakhrit.com> *****

ليس للوطن حين يسري نحوت

إني للتاريخ صبوت

كي لا تبقى يا امرأة

في القلب محض إشارات

ونعوت.

لا أذكر اسمك في الأشواق

حتى تشتعل الحروف في

الأسواق

ما بين الصور والأوراق

تنتشرين ما بين القلوب

والأحداق

تنتصرين في عمق سكوت

من أجلك قد ذقت

عذابات هاروت وماروت

دنياك يا امرأة

تخوم وتخوم

وسماؤك تيجان نجوم

لم تبق إلا عيناى تتأملها

والناس نياما

أما نجمي يال سيدتي

وتجري الرياح...

قصة: سامية شتوح

"تجري الرياح بما لا تشتهي السفن" مقولة كان دائما يرددها حين تضيق به الدنيا فيضيق بنفسه وبالناس.. عقود ثلاث مضت من عمر "أمير" وهو يمتحن التنقل من عمل إلى آخر.. تقاذفته الحياة، فعمل بكل الأشغال اليدوية. بنى، غرس، جنى، عجن، قاد، باع، شرى.. وأخيرا يقع في شرك الضيق ويعود لتضيق به الدنيا، فيعود ليرتاد المقاهي، فيحالس العاطلين ولكن ليس على كل الأعمال.. فهم ينشلون، يسرقون، يتحايلون، للحصول على ثمن قهوة، أو علبه جعة وبعض السجائر التي تجعلهم حين تدخينها في عالم غير العالم، تمنحهم بعض المستريا من البكاء أو الضحك، وكثيرا من المرأة والشحاعة على فعل أو قول أي شيء يخطر ببالهم. وكل هذا يفرج على النفس التي ضاقت بما الدنيا.. في حين كان هم "أمير" الوحيد الرحيل إلى بلد غير البلد. حلم باكتساب بيت وسيارة، وزوجة تجهز له الطعام وتنجب له الأبناء، الأبناء الذين سيصادقهم حين يكبرون.. وأمه.. آه أمه، تلك البسيطة المتواضعة، كم حاول مساعدتها وكم عجز في كل مرة.

وأخته الأرملة، حلم كثيرا بتحسين أوضاعه المادية، ليعيل أبنائها الثمانية. الراتب، وإن توفر، لا يلبي طلبات الحياة المشقة. "أمير" شاب مغرم بممارسة الرياضة. مهووس بجسده الفارع العريض. برغم الظروف المحيطة به، فالذهاب إلى التمارين عمل مقدس، والفضل يعود إلى صفة تلقاها، وهو طفل، من شاب أكبر منه سنا، في

أيامه الأولى بالعاصمة.. قرر بعدها ممارسة الملاكمة. نجح.. وفاز ببطولة تونس سنة ألفين واثنين. ككل مرة تجري فيها الرياح بما لا تشتهي السفن. تحذف الجامعة اسمه من قائمة المرشحين للسفر للتربص ببلجيكا. يثور ويزجر ويطرد خارجا.. لهوسه بالرياضة، اقترض مبلغا ماليا وشارك صديقا في إحداث قاعة للرياضة. لم يعيش المشروع سوى بضعة أشهر. فشل. وظلّ يعمل طويلا لسداد الدين. سعى "أمير" جاهدا للحصول على هجرة شرعية. تذلل. تواضع. تسامح. تنازل. ولكن الأبواب سدت في وجهه الجميل. شاب ممتلئ رجولة ووسامة. مازال يحمل شهامة ريفه البديع. مازال يحرق إلى خبز أمه، و"شكشوكة" أمه، وحضن أمه التي من بساطتها تجاوزت السذاجة في طبعها. يحركها من حولها كدمية من خرق. وجدت في الحياة فقط لتنجب من الذكور سنة ومن الإناث سنة. لم يعتب يوما عليها لأنها لم توجهه، لم تنصحه، لم تجبره على الدرس، حين عاد ذات شتاء، والوحد عالقا بقدميه، ملطحا ثيابه وبديه، وكأنه كان يشاجر تراب الأرض المبلل بماء المطر.. دون مقدمات، رمى بالمحفظة أرضا.. صرخ موجها كلامه لأمه المتواجدة كعادتها في المطبخ لا تكاد تغادره..

- ماعادش ماشي نقرا...

أخرجت الأم رأسها من باب المطبخ. نظرت إليه بتعجب. ليس مما قاله ولكن من طريقة كلامه.. لوحث بيدها، ثم عادت إلى ما كانت عليه..

حتى أنّها لم تستبقه حين أراد الزواج وهو في الرابعة عشر من عمره، خاصة وهو أصغر أبنائها..

- ماشي لتونس يامي

- اللي فيه الرضا والخير ربي يسهل فيه

ثم تبادر إلى ذهنها السؤال الذي من الممكن أنها تغافلت عنه وقالت

- علاش وليدي؟

- باش نخدم يامي.

- برى اخدم على روحك وليدي ربي يجيبك في الصواب...

لجأ لأخيه المقيم بالعاصمة. عمل بمطعمه المتواضع. غسل. كنس. مسح. رتب. ثم يعود ليلا وقد أخذ منه التعب مأخذه، للنوم مع أبناء أخيه بالبيت. بدأ الطفل يكبر. وطلباته تكبر معه. صار "أمير" شابا يافعا.

غلبت رغباته طباعه. صار له أصدقاء من عمره وأكبر منه سنا أحيانا. يرافقهم حين فراغه من عمله. يرتاد المقاهي. يجالسهم. يستمع إلى أحاديثهم ذات المصطلحات الغريبة، ومغامراتهم المتهورة.. يعجب حيناً، ويضحك حيناً، وتتوق نفسه لمخاراتهم حيناً آخر.. يسامرهم إلى ساعات متأخرة من الليل. وقبل أن تضيق به زوجة أخيه، ضاق بنفسه وبالناس.. استأجر بيتاً صحبة البعض من رفاقه. عاثوا في البيت فسادا. استقبلوا الفتيات. احتسوا الكحول، تعاطوا المخدرات. فطروا رمضان... انقطع "أمير" عن الذهاب إلى المطعم. صار يفيق الليل وينام النهار. خوت من المال جيوبه. موله أصدقاؤه العاطلين.. ولكن ليس على كل الأعمال.. عاد من جديد، للبحث عن عمل جديد. استقبلته الحظائر والحقول والمخازن، وكان قد أتقن هذا العمل الأخير وصار فرانا ماهرا... بما أن طبعه الرفي يغلب عليه في تعامله مع

مستأجره، تجده صادقا، أميناً، متفانيا في عمله، فيكسب ثقتهم.. يعود الملل،
ليتمكن به الكسل. يرمي به الفراغ في أحضان إخوان يعتنقون الأقمصة واللحي..
يحفظ القرآن. يطلع على السيرة النبوية. يتفقه في الدين. يتردد على المساجد، لا يكاد
يغادرها. يؤدي الفريضة في وقتها. يمسك بالمصحف الشريف إلى حين آذان الصلاة
الموالية. يهمل لحيته وشعر رأسه. يسير في الطريق غاض البصر منكس الرأس. يفتح
بيته الذي صار عاوبا إلا منه لرفاقه في الدين. فترى معلقات على الجدران غط عليها
آيات من القرآن الكريم، أو أحاديث للرسول عليه الصلاة والسلام، أو حكما لبعض
الحكماء والفلاسفة. يعتريه الندم على أيامه الخوالي فينفرس في كتب الدين، يطلع،
يحفظ، يتعض. ثم لا يلبث أن يأخذه الحنين إلى رفاق الدنيا، فينفض عنه رفاق
الآخرة. يعتريه التذذبذب، تراه ضاحكا مع الضاحكين، باكيا مع الباكين، قانعا مع
القانعين، نادبا حظه مع النادبين، يضييق بنفسه وبالناموس.. يعود من جديد للبحث عن
عمل جديد... يقترض مالا من مستأجره ويقرر السفر، بعد عرض مغر قدم له. أن
له أن يرفض ونفسه تنوق إلى الرحيل.. "تركيا" ستكون أول محطة في مغامرة السفر
تلك. تمر الرحلة بسلام وتستقبلهم "اسطنبول" بصوامعها العالية وشوارعها النظيفة.
تنفس أخيرا هواء غير الهواء. مشى بطرق غير الطرق.. بزغت شمس يومه الأول في
سماء "اسطنبول" كأنه يراها لأول مرة. ما شعر بدفئها كساعتها تلك. ما لاحظ
جمالها، ما أحسن شعاعها يخترقه، منذ فقد الصبح ملامحه في بلاده.. ها هو يعيش
يوما جديدا ما فتى يمر في خياله، خيالا غامضا كأنه المستحيل.

رغم أنَّ الدَّرب التي أمامه مبهمة المسالك، إلا أنه سيعبرها. ما عاد يتحمل العقبات عند قدميه، سيزيلها. حسب الجمود الذي ملأ حياته روتيناً... "اسطنبول" ليست المحطة الأخيرة في هذه السفرة، إنما هي فقط نقطة عبور.. اتفق وفقاً لخطة، رسمها وبعض المغتربين العرب، مع أحد المهريين، على التسلل خلسة إلى إحدى جزر "اليونان" بعد تسليمه مبلغاً بقيمة ثلاث مائة دولار للفرد الواحد، عبر بحر "افروس" الذي يقع على الحدود. هو إحدى نقاط عبور اللاجئين الرئيسية بين البلدين. رغم أن المنطقة المحيطة بالنهر تعد مصيدة موت لكثير من المهاجرين. حيث أنها مزروعة بالألغام الأرضية. إلا أن روح الشباب المتهورة المغامرة لا تخاف شيئاً. سيتم قطع النهر الخطر بدوره لعمقه ولصعوبة السباحة فيه بواسطة مركبا من المطاط قادرا على حمل ستة من المسافرين.. مر أسبوع ورفاق "أمير" الخمس يؤجلون عملية العبور، فقد استهوتهم "اسطنبول" بأحد شوارعها الكبيرة حيث ترى الفرق الموسيقية منتشرة على الأرصفة تعزف لأرقصات، عاريات عاديات، موريات قدغن. سماسرة الجنس يحومون بالمكان، يصطادون الزبائن العرب. يعرضون عليهم خدماتهم "بنات، شقق" "شقق، بنات".. فقط "أمير" مر مرور الكرام بهذا الشارع.. أخيراً حل ركب اليوم الموعود. من سوء الحظ، كان يوماً ممطراً، مما جعل الوادي يرتفع مستوى الماء فيه، ليصير التيار أكثر حدة، لشدة الرياح.. ولكن لا مجال للتأخير هذه المرة.

تجمع الشباب صباحاً. حضر المسؤول عن العملية. اصطحبهم إلى الجبل حيث تركهم محتبئين إلى حين عودته بالليل. التحرك بالنهار صعب، يجلب الانتباه. لصعوبة التواصل مع الرئيس التركي، لم يتيسر لهم فهم مراحل سير العملية. حتى أنهم لم يحضروا

معهم من الزاد شيئا. قضوا يومهم للجوع والعطش إلى حين عودة البحار مساء. امتطى الشبان القارب. أخذوا أماكنهم الواحد وراء الآخر حفاظا على توازنهم. كان "أمير" في المؤخرة.. بيارات تيار الماء، سيتم عبور النهر بشكل منحرف. أخذ الرئيس المجداف وبدأ يشق الماء. اعتزى الركاب الخوف والأمل. منهم من ييسمل ومنهم من يتمتم بالمعوذتين وآخر يحسك ظهر رفيقه بكلتا يديه، مغمض العينين.. سبح القارب في النهر وسبح "أمير" مع أفكاره. رأى نفسه رجل أعمال. صاحب مشروع ناجح. أمير تتوجه أموال، تدر عليه، ورصيد في البنوك يكبر ويكبر.. أمي.. نعم أمي أولا. سأرسل إليها مالا كي تزور بيت الله. لن أتركها للشقاء بعد اليوم. سيكون لها بيتا جميلا ومعينة خاصة بها. ثم أختي. لن تعود للعمل بالحقول ثانية، سأرسل لها ما يكفي ليعيها، لتعيش بكرامة. سيدرس أبنائها. سيدخلون الجامعة. سيتخرجون أطباء، مهندسين وأساتذة.. سأعود يوما إلى حيي ليتجمع كل معارف حول سيارتي الفاخرة. سيهتفي البعض صادقا ويهتفي البعض حاسدا. ويترجاني آخرون أن يؤمن لهم عملا معي. وتراني أرد على المهنيين والمسلمين بابتسامة المنتصر، وأعد للملهوفين على السفر بالمساعدة.. اليوم صرت قادرا على الزواج. سأطلب يد ابنة عمي. هي الأولى بالعز الذي أنا فيه. هي المؤهلة لصون عرضي ومالي. هي التي سأحب منها الأبناء. الأبناء الذين سأصادقهم حين يكبرون.. انتبه "أمير" لصوت الشباب يهللون للوصول إلى الضفة الأخرى. بدؤوا النزول الواحد تلو الآخر. يحسكون بأغصان الأشجار المحاذية للنهر. يقفزون. يسرعون دون الالتفات إلى الوراء. يختبئون وسط الأعشاب المرتفعة، القادرة على إخفاء رجال بينها. حان دور "أمير". كان القارب قد فقد الكثير من وزنه، وحف حمله. دفعت به المياه بعيدا عن الحافة وحولت وجهته... "تجري الرياح بما لا تشتهي السفن" مقولة كان دائما يرددتها...

رحلة الجنوب التونسي

متابعة: الناجي الوافي

كان من باكورات نشاط فرع سيدي حمادة الجمعية التونسية للمتقاعدين تنظيم رحلة استطلاعية ترفيهية إلى الجنوب التونسي (قفصة - توزر - تمغزة) وذلك يومي 15 و 16 فيفري 2014 بالتعاون مع المكتب الجهوي بسليانة والجمعية الجهوية للمسنين الذين نتقدم لهما بالشكر بهذه المناسبة.

كنا نخشى أول الأمر أن لا يتوفر لنا النصاب اللازم للقيام بالرحلة إلا أنه وبمجرد



الإعلان عنها تحاطلت علينا الطلبات من المتقاعدين الذين حرصوا على اصطحاب زوجاتهم فقررنا أن تكون الرحلة مختلطة والأولوية للقرينين فكانت كما أردنا مزيجاً بين الكهول والمسنين نساء ورجالا، التقى الجمع فجرا في ساحة "الأمصال" في جو مفعم

بالشوق والارتياح والتفاؤل وانطلقت بنا الحافلة على الساعة السادسة صباحا وبعد تبادل تحيات الصباح وسلام الالتقاء افتتحت السفرة بتلاوة دعاء السفر وترتيل آيات يَبِّتَات من الذكر الحكيم للشيخ "سي عبده" باقتراح من إحدى الأخوات ثم بدأ التنشيط الداخلي الذي تمثل في أداء وصلات من المدائح والأذكار بمشاركة الجميع تخللها تناول وجبات غذائية خفيفة وإجراء مسابقات بين الحاضرين في الثقافة العامة والمعلومات الدينية والتاريخية وتقديم نكت والغاز وإعطاء جوائز للفائزين.

في مدينة قصبة قمنا بجولة عبر شوارعها وزياره متحفها الأثري وبعض المواقع التي دلنا عليها أحد أبناء سليانة المقيمين هناك وهو الأخ صالح الخروبي من أقارب سائق الحافلة "رمزي" الذي استقبلنا وسخر سيارته لمرافقتنا وبذل جهدا كبيرا لمساعدتنا ونحن إذ نتوجه له بالشكر الجزيل على صنيعه فإننا لا نستغرب هذا الموقف من أبناء سليانة كلما التقوا بإخوانهم في بلد آخر سواء داخل الوطن أو خارجه، وقد كان لحفاوته ومساعدته أبلغ الأثر في نفوس المشاركين في الرحلة وأثنوا عليه بكل خير.

ثم توجهنا إلى مدينة توزر أين نزلنا بإحدى الإقامات المريحة، وفي المساء قمنا بزيارة الواحة والمنتره واكتملت سعادتنا بقاء أحد أبناء مدينة نفطة الأخ "الأزهر" وهو صديق حميم لبعض رفقاتنا كانوا قد تعرفوا عليه بليبيا خلال سبعينات القرن الماضي وعملوا مع بعضهم مدة زمنية وتكونت بينهم علاقة ودية تواصلت إلى اليوم. وقد أبحرنا "سي الأزهر" بدمائه أخلاقه ولطفه وكرمه وتقانيه في خدمتنا فقد أصرَّ على مرافقتنا في حلنا وترحالنا ودعانا للعشاء في منزل ابنته وقدم لكل منا هدية تمثل في كمية من الدقلة وحرص على استقدامنا في اليوم الموالي لزيارة منزله بنفطة إلا أننا اعتذرنا له بضيق الوقت والتزامنا ببرنامج الرحلة فكان معنا إلى آخر لحظة نعم المرشد وخير معين.

في اليوم الموالي قمنا بجولة في أسواق المدينة حيث اقتنينا ما يلزم من دقلة وهدايا لأبنائنا وأحفادنا ثم توجهنا إلى تمغزة عبر الشبكة وهما واحتان سياحيتان فاستمتعنا بتلك المناظر الجميلة من نخيل وشلالات مياه ولم يفت الحاج خليفة والفاضل ورضا أن يلتقطوا صورا

بالكاميرا وآلات التصوير لتلك المشاهد التي لم نألفها وخاصة قطع الإبل وهو يشق الطريق مترنحا بين رعاته المحيطين به من كل جانب مما ذكرني بقول صليحة رحمها الله:

يا سايق النجع الأول هات العصا نا نسوقه

وفي طريق عودتنا وبعد أن تجاوزنا مدينة قفصة نزلنا في إحدى محطات الاستراحة حيث استرحنا وتناولنا غداءنا ثم تابعنا رحلتنا في جو من المرح والفكاهة والغناء والقصائد إلى أن وصلنا على الساعة التاسعة مساء وكان الأهل في انتظارنا وكأننا كما قال أحد المعلقين

عائدين من البقاع
المقدسة.

لقد كانت هذه
الرحلة ناجحة على
جميع الأصعدة
وحققت أهدافها
وأكثر من حيث
الترفيه على هذه
الشريحة التي لم
يسبق لبعضهم أن
قاموا بها وكذلك
التعرف على جهة

من بلادنا العزيزة والالتقاء بأناس تعلمنا منهم الكثير من الصفات الحميدة مثل الكرم والإيثار والتفاني في خدمة الغير وذلك لعمري غاية ما يتوق إليه المسافر من المعرفة والاستفادة وإشاعة قيم الخير والمحبة والتألف بين الناس فلهه درك يا تونس الغراء كم أنت جميلة معطاء وكم أهلك كرماء فبارك الله فيك وفي أبنائك يا حضراء.

